روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا !!

٦٢

سادة الأعماق

باسل

ملف المستقبل ● سادة الأعماق ● ٦٢ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

سادة الأعماق

- متى يستيقظ (نور) و (سلوى) من غيبوبتهما العميقة ؟
- هل يمكن أن توجد مخلوقات عاقلة ، على عمق كيلومترين من سطح المحيط الأطلنطى ؟
- كيف يواجه (رمزى) وحده هذه المغامرة أيضًا ، ضد (سادة الأعماق) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع الفريق فى الأحداث ..

٦٢



الثمن فى مصر ٩٠ ق
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

العدد القادم : المحيط الملتهب


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ـ المجهول ..

أطلق (رمزى) ، من أعمق أعماق صدره زفرة قويَّة ، وهو يتطلَّع إلى المحيط الأطلنطى الممتد أمامه ، مستندًا إلى حاجز الحوَّامة الجَوبرمائيَّة (الهوفر كرافت)(*) ، التى تشق به المحيط ، فى طريقها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فى الأيام الأولى لصيف عام ألفين وأحد عشر .

وفى هدوء اقتربت منه (نشوى) ، ابنة (نور) و (سلوى) ، واستندت بدوْرها إلى حاجز الحوَّامة ، وراحت تشاركه تطلُّعه إلى المحيط فى صمْت ، وقد اكتست عيناها بذبول بائس حزين ، شاركتها فيه عينا (رمزى) ، وهو يمسح بكفِّه على شعرها الناعم المسترْسِل ، فى حنان وتعاطُف ..

كان قد مضى عام كامل ، منذ سقط (نور) و (سلوى)

(*) الهوفر كرافت : نوع من المركَبات الحديثة ، يعتمد على صُنْع وِسادة هوائية أسفله بدفع الهواء القوىّ ؛ لذا فهى تصلح للسير فى البحر والبرّ ، وهى دومًا معلَّقة على وسادتها الهوائية جوًّا .

فى غيبوبتهما العميقة المجهولة ، لدى عودتهما من أرض العمالقة(*) ، ومنذ تولّى (رمزى) أمر ابنتهما (نشوى) ، التى بلغت العاشرة من عمرها ، واكتست حياتها بالحزن على والديها ، والأمل فى عودتهما إلى وعيهما يومًا ..

وفيما مضى ، كان السؤال التقليدىّ لـ(نشوى) هو : « متى يعودان إلى وعيهما يا عمّى (رمزى) » ، أما الآن فلم تعُد (نشوى) تُلقِى هذا السؤال ، كانت تكتفى بزيارة والديْها بانتظام فحسب ، والوقوف أمامهما بالساعات ، فى صمْت حزين ..

لقد نضجت الطفلة قبل الأوان ..

أنضجتها تجربة الألم والمرَارة ..

أنضجها الحزن ..

وفى ذلك اليوم ، وهى تتطلّع إلى المحيط الممتدّ ، إلى جوار (رمزى) ، امتلأ عقلها بصورة والديْها ، فانحدرت على وجنتيها دَمْعَة ساخنة ، اعتصرت قبضة قويّة قلبها الصغير ، وكادت تجهش ببكاء حارّ ، ولكنّها تماسكت ، وبحثت عن

(*) راجع قصة (أرض العمالقة) .. المغامرة رقم (٦٠) .

وسيلة للفرار من الذكرى ، مما دعاها إلى أن تلتفت إلى (رمزى) ، وتسأله فى اهتمام :

ــ هل ستتغيَّب طويلًا فى الولايات المتحدة يا عمّى (رمزى) ؟

ابتسم فى حنان ، وهو يجيبها فى هدوء :

ــ أسبوع واحد فقط يا (نشوى) ، سنحضر معًا مؤتمر الأطباء النفسانيين الدولىّ ، ثم نعود إلى (القاهرة) .

أجبرت نفسها على الابتسام ، وهى تقول :

ــ المهمّ ألّا تضيع إجازتى .

ضحك ، وهو يقول :

ــ ومن قال إنها ستضيع ؟.. لقد رفضت الذهاب إلى (أمريكا) بالطائرات النوويَّة ، وكانت رحلتنا بها ستستغرق ساعة واحدة فحسب ، وفضّلت أن تستغرق رحلتنا ثلاثة أيام كاملة ، على متن (هوفركرافت) ، لأمنحك رحلة بحريَّة لطيفة فى الوقت ذاته ، ألا تعتبرين ذلك جزءًا من الإجازة ؟

ضحكت ، وهى تقول :

ــ بالتأكيد .

ثم عادت إلى عينيها تلك النظرة الحزينة ، وهى تُردِف :

— وإن كنت أتمنّى لو شاركتنى فيها ......

بترت عبارتها ، وكأنها تخشى النطق بالنصف الثانى منها ، ولكنه فهم ما تقصده ، فربَّت على رأسها فى حنان ، وقال :

— ربّما فى المرّة القادمة .. ربّما .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت قُبطان (الهوفركرافت) ، وهو يقول :

— إلى المسافرين على متن حوّامتنا السياحيّة الفاخرة ، نتمنّى أن تكونوا قد استمتعتم برحلتكم معنا حتى الآن .. ويسرُّنى أن أعلن عن جزء جديد ، يضاف لأوّل مرّة إلى برنامج الرحلة .. ألا وهو (نزهة الأعماق) .

كان صوته يتردّد عَبْرَ عشرات من مكبّرات الصوت ، ذات درجة النقاء العالية ، التى تمنح صوته رنينًا أنيقًا ، جذب انتباه الجميع ، وشدّهم إلى سماع حديثه ، وهو يستطرد :

— وبرنامجنا الجديد فريد من نوعه ، فأنتم تعلمون جميعًا أن المحيط الأطلنطى هو أكثر المحيطات عمقًا ، وغموضًا ، وأن عمقه قد بلغ فى بعض المناطق ، ومنها تلك المنطقة ، التى توقّفنا فيها الآن ، سبعة كيلومترات .. ومنذ الأزل ، لم يتجاوز هبوط البشر الأحياء ، فى تلك الأعماق ، الكيلومتر الواحد ..

واليوم سنصل بكم نحن إلى عمق كيلومترين كاملين ، حيث لم يصل بشر من قبل ، فى رحلة سياحيّة نادرة ، تشاهدون فيها مخلوقات الأعماق النادرة .

صفَّقت (نشوى) بكفّيها فى جَذَل ، وهى تهتف فى لَهْفة :

— سنذهب إلى الأعماق يا عمّى (رمزى) .. أليس كذلك ؟

ربّت على رأسها فى حنان ، وهو يغمغم :

— بالتأكيد .. فقط استمعى إلى ما يقوله القُبطان .

عادا يستمعان إلى القُبطان ، الذى راح يتابع فى حماس :

— وستستقِلُّون فى رحلتكم إلى الأعماق غواصتنا الحديثة (ق — ١) .. التى أعْدَدْناها خصّيصًا لكم ، لنضمن أمنكم وسلامتكم ، و (ق — ١) مصنوعة من معدن شديد الصّلابة والتحمُّل .. هو سبيكة من الفولاذ والنّيكل و (الجرامنيوم) .. ذلك المعدن الحديث ، الذى تصنع منه المقاتلات الفضائية ، والذى تم كشفه فى بداية قرننا الحادى والعشرين ، ولها نوافذ مصنوعة من زجاج بسمك ست بوصات ، يقاوم الضغط عن طريق ضغط هوائىّ محسوب بدقّة متناهية .. وغواصتنا (ق — ١) مزوّدة برصيد من الهواء

النقىّ المتجدِّد ، عن طريق كابل ضخم ، يتصل بحوّامتنا مباشرةً ، ويحوى فى داخله ، بالإضافة إلى أنبوب تجديد الهواء ، الأسلاك اللازمة لنقل الصور ، التى تلتقطها (ق ــ ١) للأعماق .. ستضىء (ق ــ ١) فى قاع المحيط الأطلنطى كشمس صغيرة ، لتضمن لكم جَوْدة الرُّؤية ، حيث يسود الظلام التامّ فى ذلك العمق ، الذى ستصل إليه ..

كان حديثه ، ولهجته الحماسية يشعلان لهفة المستمعين وحماسهم ، حتى صار كل منهم يتمنَّى لو غاص داخل (ق ــ ١) إلى الأعماق ، حتى أضاف القُبْطان :

ــ ولتأكيد مدى قوّة غواصتنا ، وأمنها ، سنفتتح رحلاتها برحلة خاصة للأطفال دون الحادية عشرة من عمرهم .. وسنمنحهم الفرصة ليكونوا أوَّل روَّاد للأعماق .

صاح عشرات الأطفال فى سعادة وحماس ، والقبطان يردِّد :

ــ نريد ثلاثة أطفال .. الروَّاد الثلاثة الأوائل .

هتف الجميع يرشحون أنفسهم للرحلة ، وصاحت (نشوى) فى لهفة ، وهى تتشبَّث بذراع (رمزى) :

ــ سأذهب يا عمِّى (رمزى) .. أرجوك .

تردَّد ، وهو يقول :

ــ كلَّا .. إنها رحلة مخيفة ، وأخشى أن ....

قاطعته فى رجاء :

ــ أرجوك يا عمِّى (رمزى) .. إنها فرصة نادرة .. سأصبح أولى رائدات الأعماق .

ابتسم فى قلق ، وهو يقول :

ــ ولكن ماذا لو ....؟

قاطعته فى غضب :

ــ لا تصنع المخاوف جزافًا يا عمِّى (رمزى) .. لو أن أبى هنا لوافق على الفور و ....

بترت عبارتها بغتة ، حينما أدركت كم ستؤلمه كلماتها ، وارتسم الأسف على وجهها ، وهى تقول .

ــ معذرة يا عمِّى (رمزى) .. لم أكن أقصد .

ربَّت على رأسها فى حنان ، وحزن ، وهو يقول :

ــ ولكنك كنت على حقّ .. لم يكن (نور) ليمانع .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

ــ ستذهبين إلى الأعماق بإذن الله يا (نشوى) .. ستذهبين .

تهلّلت أساريرها ، واندفعت نحو حجرة القُبُطان ؛ لتسجّل اسمها ، فى تلك الرحلة إلى المجهول ..

رحلة الذهاب ..

الذهاب فقط ..

* * *



٢ ـ الرِّسالة ..

كانوا ثلاثة أطفال ، فى العاشرة من عمرهم ، يهبطون داخل (ق ـ ١) إلى أعماق المحيط الأطلنطى ..

(طارق) ، و (هشام) و .. (نشوى) .. ابنة (نور) و (سلوى) ..

وبينما بدأت (ق ـ ١) رحلتها ، كانت جدرانها السميكة تفصل ما بين نوعين مختلفين ، متناقضين من المشاعر ..

لهفة وسعادة ، فى نفس (نشوى) ..

وقلق وتوتُّر ، فى قلب (رمزى) ..

وهبطت (ق ـ ١) ..

وارتجف جسد (رمزى) ..

ارتجف لحظة ، حينما غاصت الغوّاصة فى الأعماق ، ثم زفر فى قوّة ، وغمغم :

ـ أظن أن (نور) لم يكن ليعترض .



وبينما بدأت (ق ــ ١) رحلتها ، كانت جدرانها السميكة تفصل ما بين نوعين مختلفين ، متناقضين من المشاعر .

عاد يزفر فى قوّة ، ثم اتجه نحو ساحة العرض ، واتخذ مَقْعَده أمام شاشة ضخمة ، تنقل للجالسين على سطح الحوّامة ، كل ما يراه الأطفال الثلاثة ، وهـم يغُـوصون فى أعمـاق الأطلنطى ..

فى البداية كان ضوء الشمس يتسلّل إلى الماء ، فتبدو الرؤية واضحة ، وتبدو عشرات ومئات القوافل ، من مختلف أنواع الأسماك ، وهى تسبح حول الغوّاصة التجريبية الصغيرة ، وتتطلّع إلى نوافذها الزجاجية السميكة ، على نحو جعل (رمزى) يتساءل :

ــ مَنْ يراقب مَنْ يا تُرى ؟

خُيِّل إليه أن الأسماك تتطلّع إلى وجوه الصغار ، عَبْرَ النوافذ الزجاجية ، بنفس الشَّغَف ، الذى يتطلّع به الصغار إليها ..

الفارق الوحيد هو أن أحد المشاهدين وسط الماء ، والآخر فى موقع جافّ ..

وحينما واصلت (ق ــ ١) هبوطها ، خفَت ضَوء الشمس تدريجيًا ، وبدأ الظلام يزحف حول الغوّاصة ، التى أضاءت بأضواء مُبْهِرة بعد لحظات ، فعادت الرؤية تتّضح مرّة أخرى ، وإن بدا المحيط ، على ذلك العمق ، هادئًا ، خاليًا ،

ساكنًا ، إلّا من عدد قليل من الأسماك الضخمة ، تظهر فى سرعة ، وتختفى فى سرعة ..

ووصلت الغوَّاصة الصغيرة إلى عمق كيلومترين ..

إلى أقصى عمق بلغة الإنسان فى المحيط ..

إلى حيث يصل ضغط الماء إلى ما يساوى ستين ضغطاً جويًّا تقريبًا(*) .

إلى حيث يبلغ الظلام مداه ..

ومن العجيب أنه على هذا العمق كانت توجد مخلوقات ..

سبحان الله (العلىّ القدير) ..

مخلوقات ضئيلة .. دقيقة .. مضيئة ..

مضيئة كمصابيح صغيرة حيَّة ، تشق طريقها وسط ظلام دامس ..

مخلوقات تتجلَّى فيها قدرة الخالق (عزَّ وجلَّ) ..

ومال الرجل ، الجالس إلى جوار (رمــزى) نحوه ، مغمغمًا فى انبهار :

(*) الضغط الجوى : وزن عمود من الزئبق طوله ٧٦ سم ، ومساحة مقطعه ١ سم^{٢} ، عند سطح البحر .

ــ يا للرَّوعة !!.. لا شكَّ أنّ الصغار فى قمة سعادتهم وانبهارهم الآن .

غمغم (رمزى) ، وهو يتابع الشاشة فى اهتمام :

ــ نعم .. لا شكَّ فى ذلك .

هزَّ الرجل رأسه ، وعاد يقول :

ــ سبحان الله .. لم أكن أتصوَّر أبدًا وجود كائنات دقيقة هكذا ، فى مثل هذا العمق .

وافقه (رمزى) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

ــ وأنا كذلك ، لقد تصوَّرت أنه من الضرورىّ أن تكون مخلوقات الأعماق بالغة الضخامة ، لتحتمل كل هذا الضغط على الأقل .

عاد الرجل يهزّ رأسه ، قائلًا :

ــ يبدو أننا سنمضى دهرنا كله ، دون أن ندرك حكمة الخالق فى خلقه .

عاد (رمزى) يوافقه بإيماءة من رأسه ، مغمغمًا :

ــ لا شكَّ فى هذا .

ثم اعتدل فى اهتمام ، وهو يشير إلى الشاشة ، مستطردًا فى انفعال :

ـ انظر .. هناك جسم متوسِّط الحجم .
مال الرجل برأسه إلى الأمام ، وهو يسأله فى لهفة :
ـ أين ؟
هتف (رمزى) ، وقد تضاعف انفعاله :
ـ هناك .. لقد عَبَرَ دائرة الضوء فى سرعة ، ثم اختفى خارجها .
هزَّ الرجل رأسه فى حَيْرة وشكٍّ ، وهو يغمغم :
ـ لم ألحظه .. أأنت واثق من أنه ليس مجرَّد ظلال ، أو .....؟
قاطعه (رمزى) فى توتُّر :
ـ أيَّة ظلال فى هذا العمق .. لقد كان مخلوقًا حيًّا ، يتحرَّك فى مهارة ، و .....
لم يجد ما يتم به وصفه ، فبتر عبارته عند هذا الحدّ ، ولاذ بالصَّمْت ، مما دفع الرجل الجالس إلى جواره إلى الابتسام ، وهو يقول :
ـ أراهنك أنه خداع بصرىّ فحسب .
لم يجب (رمزى) ، ولكن شيئًا ما فى أعماقه أنبأه بأن ما رآه ليس خداعًا ..

وإنما هو خطر ..
خطر ما ..

* * *

تراخى جفنا ممرضة المراقبة ، فى مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، وخامرها شعور قوىّ بالملل ، وبعدم جَدْوَى استمرارها فى مراقبة جسدَىْ (نور) و (سلوى) ، اللذين اتصلا بعشرات الأنابيب والخراطيم ، والأسلاك ، التى تؤمِّن لهما التغذية ، وتلتقط كل ما يرسله مُخَّاهما ، وقلباهما ، وكل أجهزتهما الحيويَّة ، على هيئة إشارات وعلامات ومنحنيات إليكترونية ، تملأ شاشات الأجهزة الحديثة ، التى تحيط بهما من كل جانب ..
ومنذ عام كامل ترسل كل تلك الأجهزة إيقاعات ثابتة لا تتغيَّر ، حتى بات الأمر رتيبًا مضجرًا ، يبعث النعاس فى العيون والجفون ..
وانسدل جفنا ممرضة المراقبة فى تراخ ..
وفجأة .. تغيَّر الإيقاع ..
تغيَّر على نحو مباغت سريع ، جعل الممرضة تنتفض من مكانها ، وتهبّ من مجلسها ، وتحدِّق فى شاشة رسَّام المخ الإليكترونى فى دهشة ، ثم تهتف :

ــ يا إلهى !!.. أحان الوقت ؟!.. أحان الوقت حقًا؟!..

وأسرعت تضغط زِرّ الاتصال بالطبيب المعالج ، بأصابع مرتجفة ، ولم تمض لحظات حتى كان الطبيب المتابع للحالة ، داخل حجرة العناية المركَّزة ، يسألها فى قلق :

ــ ماذا حدث ؟

أرادت أن تشرح له ما حدث ، إلّا أن انفعالها لم يساعدها ، إلّا على أن تشير بأصابع مرتجفة إلى الشاشة ..

ورفع الطبيب عينيه إلى حيث أشارت ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى شدة ، وهو يتمتم :

ــ يا إلهى !!.. إنه نشاط مُخّىّ فائق .

أسرع نحو جسد (سلوى) ، وراح يفحصه فى سرعة ، وهو ينقّل بصره بين الفيْنَة والفيْنَة إلى شاشة الجهاز ، مغمغمًا :

ــ عجبًا !!.. إن أجهزة الجسم كلها ما زالت غارقة فى غيبوبة عميقة .. عدا المخ .

ثم انتقل إلى جسد (نور) ، يفحصه بنفس السرعة والاهتمام ، إلّا أن هذا لم يُورثه سوى المزيد من الدهشة والحَيْرة ، فتنهَّد فى عمق ، وراح يحكّ مؤخرة عنقه بأصابعه ، وهو يغمغم :

ــ هذا غير طبيعىّ .. غير طبيعىّ على الإطلاق .

سألته الممرضة فى توتُّر :

ــ ماذا يحدث لهما ؟

هزَّ كتفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ إننى لم أشهد مثل ذلك من قبل ، فجسداهما غارقان فى غيبوبتهما ، أمّا عقلاهما فيشهدان نشاطًا مفاجئًا ، كما لو أنهما .. كما لو أنهما .....

راح يردِّد الجزء الأخير من عبارته فى توتُّر ، مما أهب فضول الممرِّضة ، فهتفت به :

ــ كما لو أنهما ماذا ؟

تردَّد لحظة ، ثم أجاب فى شكٍّ وخُفوت :

ــ كما لو أنهما يتلقّيان رسالة .. رسالة عقليَّة .

ومن العجيب أن تشخيصه كان سليمًا ..

لقد كانا يتلقَّيان ، رسالة عقلية ..

رسالة تحمل إنذارًا بخطر يتهدَّد أحبَّ مخلوقة إلى قلبيهما .. ابنتهما ..

* * *

قلق شديد ، ذلك الذى ملأ نفس (رمزى) ، وهو يتطلَّع إلى الشاشة ، بعد أن لمح ذلك الجسم العجيب ، الذى مرق عَبْرَ دائرة الضوء لحظة ..

شىء ما فى أعماقه جعله يشعر بالخوف والقلق على (نشوى) ..

كان من الممكن أن يكون ذلك الشىء مجرَّد سمكة ضخمة ، أو كائن من كائنات الأعماق ، ولكنه لا يدرى لم أثار مرآه كل هذا القلق فى نفسه ..

وفى توتُّر راح يقول لنفسه :

ـــ لماذا كل هذا القلق يا (رمزى) ؟.. أكنت تتوقَّع أن يخلُوَ المحيط من كل المخلوقات ، بمجرَّد أن (نشوى) ستهبط إليه ؟.. لقد كنت تعلم منذ البداية أن (نشوى) ستغوص وسط محيط يزخر بالكائنات الحيَّة المجهولة ، فلماذا أصابك القلق الآن ؟.. ثم إن غواصة التجارب ذات جدران سميكة ، شديدة الصلابة ، وتحمل أربعة مدافع ليزر قويَّة ، للدفاع عنها ضدَّ أى خطر محتمل ، ولا يوجد أدنى مبرِّر للقلق !

كان يحاول بكلماته تهدئة نفسه ، إلَّا أن قلقه تضاعف ، وراح يهتف به :

ـــ ولكنْ هناك شىء ما أثار قلقك ، على الرغم من كل محاولاتك لتُطَمْئِنَ نفسك .. نعم .. راجع ذلك المشهد ، الذى رأيته فى لمحة خاطفة ، وستجد به ما أثار توتّرك وقلقك بالتأكيد .. حاول أن تراجعه .. صحيح أنه لم يستغرق سوى جزء من الثانية ، حتى أن معظم المشاهدين لم يلمحوه أو يلاحظوه ، إلَّا أنك التقطت منه لمحة خاطفة ، فجرَّت قلقك على هذا النحو .. حاول أن تستعيدها .. حاول ..

راح يعتصر ذهنه ، محاولًا استرجاع تلك اللمحة الخاطفة ، التى أثارت انتباهه وقلقه ، فى مشهد استغرق عُشر الثانية على الأكثر ، وأخذ يتابع الشاشة فى توتُّر بالغ ، وهى تنقل كل ما يدور حول الغوَّاصة الصغيرة ..

كان المحيط يبدو هادئًا ساكنًا ، على نحو بالغ المدى ، كما لو أن (ق ـــ ١) ، قد هبطت فى منطقة مُقفرة منه ، فباستثناء تلك المخلوقات الضئيلة المضيئة ، ساد سكون رهيب فى الأعماق ..

وفجأة .. ارتجف المشهد ..

ارتجف فى عنف جعل الجميع يشهقون فى فزع ، وجعل

(رمزى) يقفز من مقعده ، ويحدّق فى الشاشة فى ذُعر وتوتُّر ..

وفجأة أيضًا .. أظلمت الشاشة ..

وانطلقت صرخات الرُّعب من الأفواه ، وبخاصَّة أفواه أسرتَىْ (طارق) و (هشام) .

أمَّا (نشوى) ، فقد كانت أسرتها تقتصر — فى الوقت الحالىّ — على شخص واحد ..

(رمزى) ..

وانتزع (رمزى) نفسه من ذُعره وتوتُّره ، واندفع نحو حجرة القُبْطان ، واقتحمها فى عنف ، وهو يصرخ :

— ماذا حدث ؟

حاول القبطان أن يهدِّئ من انفعاله ، على الرغم من أنه كان يرتجف على نحو واضح ، وهو يقول :

— لا تقلق يا سيِّدى .. إنه انقطاع فى كابل النقل فحسب .

صاح (رمزى) فى توتُّر :

— وماذا عن الغواصة ؟

أجابه القُبْطان فى توتُّر :

— إننا نستعيدها .. سنرفعها إلى السطح فى لحظات .

أسرع (رمزى) إلى السطح ، وتعلَّق بصره بالكابل الضخم ، الذى يرتفع فى سرعة ، حاملًا (ق — ١) ، حتى برزت الغواصة الصغيرة فوق سطح الماء ، وبدا القطع الجزئىّ فى الجزء الملتصق بها من الكابل واضحًا ، وأسرع (عصام) نحوها ، مع والدىْ (طارق) و (هشام) ، ثم لم يلبث الجميع أن توقَّفوا مبهوتين ، مذعورين ، مرعوبين ، فقد كان الجدار الجانبىّ للغوَّاصة التجريبية مشقوقًا ، كما لو كان قطعة من الزُّبد ، أحدث فيها سكِّين حادّ فجوة كبيرة ..

وكانت خالية ..

خالية من الصِّبية الثلاثة ..

خالية تمامًا ..

* * *





أسرع (رمزى) إلى السطح ، وتعلّق بصره بالكابل الضخم ، الذى يرتفع فى سرعة ، حاملًا (ق ـ ١) ..

٣ ـ أعماق الألم ..

شعر (رمزى) بساقية تَعْجزان عن حمله ، وترتجفان على نحو واضح ، وخُيِّل إليه أنه سيهْوى فاقد الوعْي ، وصَكَّ مسامعَه صُراخُ أسرئَى الصَّبِيَّيْن (طارق) و (هشام) ، وبدا له كقصف رعد فى أعماق قلبه ، الذى أصيب بجرح عميق ، وراح يُعانى آلامًا مبرِّحة ، وهو يلُوم نفسه أشدّ اللّوم ؛ لأنه وافق على قيام (نشوى) بتلك الرحلة ..

وفجأة .. اجتاحه إعصار من الغضب ..

إعصار هادر قوىّ مدمِّر ..

إعصار دفعه إلى أن يندفع نحو حجرة القُبُطان مرّة أخرى ، ويقتحمها فى عنف ، ثم ينتزع هذا الأخير من مَقْعَده ، ويصرخ به فى غضب :

ـ أيُّها الحقير .. لقد صدَّقنا دعاياتك .

تملَّص القبطان من قبضتيه فى توتُّر ، وأسرع رجاله يصوِّبون مسدَّساتهم الليزريَّة نحو (رمزى) ، الذى بدا وكأنه لم يَرَ فُوَّهات

مسدَّسات الأشعة القاتلة ، وهو يصرخ فى وجه القُبطان :

ــ لقد بالغت فى الثقة بغوَّاصتكم الحقيرة ، وأفقدتنا أبناءنا .

هتف القُبُطان فى توتُّر :

ــ ولكن الغوَّاصة منيعة بالفعل .. لست أدرى كيف حدث ذلك .

صاح (رمزى) فى غضب :

ــ سأخبرك أنا كيف حدث ذلك أيُّها الحقير .. إن جدران غواصتكم اللَّعينة لم تحتمل الضغط الهائل ، الذى وصل إلى ستمائة ضغط جوىّ على كل سنتيمتر منها ، فتشققت ، وانهارت ، وقُتِلَ أبناؤنا داخلها .

لوَّح القُبُطان بكفِّه فى ذُعْر ، وهو يهتف :

ــ مستحيل !! هذا ليس تأثير الضغط، فلو أنه كذلك لانطبقت جدران الغوَّاصة بعضها على البعض، وليس هذا ما حدث .. لقد صنع فيها شىء ما فجوة منتظمة .. فجوة عجيبة .

انتفض جسد (رمزى) كله ، عند سماعه هذه العبارة ، التى بدت له منطقية صحيحة ، وانهار فوق أقرب مقعد إليه ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ ماذا حدث إذن ؟.. ماذا حدث ؟

غمغم القبطان فى اضطراب :

ــ ستجرى الشركة بحثًا واسعًا ، فى هذا الشأن ولاشكّ ، وستَصْرف لكم التعويضات المناسبة و .....

قاطعه (رمزى) بصرخة استنكار :

ــ تعويضات ؟!

وهبَّ واقفًا ، وهو يستطرد فى غضب عصبىّ :

ــ أتظن أن التعويضات المالية ستكفينا ؟!.. أتظن أننا سنقبل ثمن دماء أطفالنا ؟..

لوَّح القبطان بذراعه ، وهو يهتف فى توتُّر :

ــ إننى لم أقصد ذلك ، ولكن ماحدث قد حدث ، ولاتوجد وسيلة لاسترجاع الأطفالِ ، والتعويض المادّىُّ أمر معترف به قانونًا .

دوَّى جزء من العبارة فى رأس (رمزى) ..

لاتوجد وسيلة لاستعادة الأطفال ..

لاتوجد وسيلة لاستعادتهم ..

ما من وسيلة ..

اتسعت عيناه فى ذُعْر ، وهو يردِّد فى ألم ومرارة :

— يا إلهى !!.. (نشوى) ..

وانهار مرَّة أخرى فوق مَقْعَده ، ودفن وجهه فى راحتيه ، وهو يردِّد :

— كيف أفسِّر ما حدث لـ (نور) و (سلوى) ؟.. كيف أبرِّر لهما تقاعسى فى حماية ابنتهما ؟.. كيف أعوِّضهما عنها ؟!..

كانت كلماته تقطر بالألم والمرارة ..

وفجأة .. برق مَشْهَد ما فى رأسه ..

مشهد رآه فى لمحة خاطفة ..

مشهد تذكَّره على التوِّ ، فهبَّ من مَقْعَده ، وتعلَّق بالقُبْطان ، صائمًا :

— اتصل بشركتك اللَّعينة .. هيَّا .. اطلب منهم أن يرسلوا لنا غوَّاصة أخرى مشابهة ، وألقِ مرساتك هنا ، فسنبقى حتى ننتهى من هذا الأمر .

حدَّق القبطان فى وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :

— أىُّ أمر ؟

أجابه (رمزى) فى صرامة :

— إننا سنهبط هناك ..

ثم أشار إلى المحيط ، مستطردًا فى حزم :

— إلى حيث فقدناهم .

* * *

حلَّقت هليوكوبتر نوويَّة فوق الحوَّامة فى دَوْرة كاملة ، قبل أن تلتقط أجهزة الحوَّامة رسالة منها ، تقول :

— هنا هليوكوبتر إدارة المخابرات العلميَّة ، نطلب الإذن بالهبوط .

أدار القُبْطان عينيه إلى (رمزى) ، قائلًا فى عصبيَّة :

— لم يكن من الضرورىّ أن تتصل بالمخابرات العلميَّة ، فهذا الأمر خاصّ بالشركة ، ويمكننا إجراء تحرِّياتنا بأنفسنا .

أجابه (رمزى) فى صرامة :

— هذا ما تتصوَّره أنت .

ثم أشار إلى أجهزة الحوَّامة ، مستطردًا فى حزم :

— مُرْ رجالك بمنحهم إذْن الهبوط .

أشار القُبْطان إلى أحد رجاله فى ضيق ، فعمل هذا على إرسال إذن الهبوط إلى الهليوكوبتر ، التى دارت حول الحوَّامة دَوْرة أخيرة ، ثم هبطت فى منتصفها ، وقفز منها (محمود) ، عضو الفريق ، الذى اندفع نحو (رمزى) ، يسأله فى لهفة :

— ماذا حدث يا (رمزى) ؟.. ماذا أصاب (نشوى) ؟

أمسك (رمزى) كتفيه ، وهو يقول فى دهشة وتوتُّر :

— (محمود) ؟!.. ماالذى أتى بك ؟.. إننى لم أطلب حضورك بالذات ، فجراحك قد التأمت منذ أيام فقط ، و..... (*) .

قاطعه (محمود) فى حزم :

— دَعْك من جراحى ، وأخبرنى .. ماذا حدث ؟

قصَّ عليه (رمزى) ما حدث فى سرعة ، فهتف فى جزع :

— يا إلٰهى !!.. هل فقدنا (نشوى) ؟

انعقد حاجبا (رمزى) ، وهو يقول :

— كل الظواهر تؤكِّد ذلك يا (محمود) ، ولكن هناك شىء يدفعنى إلى عدم الجزم بهذا .

سأله (محمود) فى دهشة :

— أىُّ شىءٍ هذا ؟

أشار إليه ، قائلًا :

(*) راجع قصة (أرض العمالقة) .. المغامرة رقم (٦٠) .

— تعالَ .. سأجعلك ترى بنفسك .

ثم قاده إلى حيث وضِعَتِ الغوَّاصة الصغيرة ، وقال وهو يشير إلى الجزء المشقوق فى جدارها :

— انظر وأخبرنى ، أى شىء فعل هذا ؟

مال (محمود) يفحص الجزء المقطوع من جدار الغواصة ، وهو يقول فى اهتمام مشوب بالدَّهشة :

— يبدو أن ذلك الجدار قد تعرَّض لنوع رهيب من الأشعة .. فهو مشقوق بحوافٍ منتظمة ناعمة .. وهناك قطعة كبيرة مفقودة منه ، كما لو أن أحدًا قد انتزعها لفحصها .

رفع (رمزى) سبَّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

— بالضبط .. هذا ما استنتجته أنا .

ثم أشار إلى الجزء المقطوع من الكابل ، والملاصق لقمة الغوَّاصة الصغيرة ، مردفًا :

— وما رأيك فى هذا ؟

فحص (محمود) القطع الجزئىَّ فى إمعان ، وقال :

— يبدو أنه مقطوع باستخدام الوسيلة نفسها .

أضاف (رمزى) فى اهتمام :

— مع الانتقاء .

عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ ماذا تعْنِى ؟

أجابه فى حسم :

ـ أعْنِى أن الأشعة قد انتقت طريقها هذه المرّة ، فهى لم تقطع الكابل كله ، وإنما انتقت منه جزءًا خاصًّا ، ذلك الجزء الذى يحوى أسلاك توصيل الصُّوَر إلى سطح (الهوفركرافت) .

عاد (محمود) إلى فحص الجزء المقطوع فى اهتمام ، ثم غمغم :

ـ يا إلٰهى !!.. هذا صحيح .

ثم اعتدل مغمغمًا فى حَيْرة :

ـ ولكن لماذا ؟

أجابه (رمزى) :

ـ لمنع نقل الصُّوَر أولًا ، قبل شقّ جدار الغوّاصة .

حدّق (محمود) فى وجهه بحَيْرة ، وهو يغمغم :

ـ ولكنّ هذا يحتاج إلى مخلوق عاقل يا (رمزى) !

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. ويتّفِق تمامًا مع مارأيته على شاشة النقل .

ازداد انعقاد حاجبى (محمود) ، وهو يقول :

ـ ماذا رأيت يا (رمزى) ؟

أجابه فى هدوء واثق حازم :

ـ رأيت على ذلك العمق شكلًا حيًّا يا (محمود) .. شكلًا بشريًّا ..

* * *



٤ ـ المستحيل ..

« هذا مستحيل !!.. مستحيل تمامًا !! » ..

ألقى قبطان (الهوفركرافت) هذه العبارة فى حزم وصرامة ، وبلهجة لا تحتمل النقاش ، بعد أن استمع إلى حديث (رمزى) ، وأردف فى حِدَّة :

ـ ما من بشر يمكنه أن يحتمل الضغط الهائل ، فى هذه الأعماق السحيقة ..

إن أىّ مخلوق بشرىّ يُسْحَق سحقًا ، قبل أن يصل إلى ربع هذا العمق .

أجابه (رمزى) فى صرامة :

ولكننى رأيت شكلًا بشريًا ، على عمق كيلومترين .

هتف القبطان فى إصرار :

ـ مستحيل !! أقول لك : مستحيل !!

أشار (محمود) بكفَّيْه ، قائلًا :

ـ مهلًا أيها السادة .. من السهل الوصول إلى رأى حاسم ، فى هذا الخلاف .

ثم التفت إلى القُبُطان ، قائلًا :

ـ هل سجَّلتم ما نقلته آلات التصوير فى الغوَّاصة ؟

فهم القبطان مقصده على الفور ، فصاح فى حزم :

ـ بالتأكيد .. سنعيد عرضه ، وسأثبت لكما أننى على حقّ ..

ورمق (رمزى) بنظرة صارمة ، وهو يُرْدِف :

ـ إن وجود بشر على هذا العمق مستحيل !!

* * *

راحت آلات الڤيديو تعرض التسجيل فى هدوء ، وعيون الرجال الثلاثة تتابعه فى اهتمام ، حتى هتف (رمزى) فجأة فى انفعال :

ـ ها هو ذا .

عقد القُبُطان حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أين ؟.. إننى لم أرَ شيئًا !

غمغم (محمود) فى قلق :

ـ وأنا كذلك !

هتف (رمزى) :

ـ أعِد (المَشْهَد) وسترياه .

أعاد القبطان المشهد ، وحدَّق فيه الثلاثة مرَّة أخرى فى اهتمام ..

كان مشهدًا عاديًّا للغاية ، ينقل مساحة لانهائيَّة من مياه الأعماق ..

وفجأة .. برز جسمٌ ما عند نهاية دائرة الضوء ، واختفى فى سرعة ..

ظهر واختفى فى ثانية واحدة ، لم تسمح لـ (محمود) أو القبطان بالتحقُّق منه ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد هتف (رمزى) :

ـ ها هو ذا مرَّة أخرى .. أرأيتماه ؟

تبادل (محمود) والقبطان نظرات الحَيْرة ، ثم غمغم الأوَّل :

ـ فى الواقع .. إننى ....

قاطعه (رمزى) فى عصبيَّة :

ـ حسنًا .. حسنًا .. هناك وسيلة أكثر دقَّة .

وأعاد المشهد للمرَّة الثانية ، ثم أوقفه ، وأخذ يعرضه فى بطء متناه ، وهو يقول :

ـ سنشاهد المشهد هذه المرَّة لقطة فلقطة ..

تعاقبت الصُّوَر فى بطء شديد ، ثم بدأ ذلك الجسم يظهر عند دائرة الضوء ، فأوقف (رمزى) الصُّورَة ، هاتفًا :

ـ انظرا .

حدَّق الاثنان فى الشاشة باهتمام، ثم هزَّا رأسيهما نفيًا ، وقال القُبْطَان فى ضَجَر .. لست أرى سوى جسم مظلم .. قد يكون شيئًا ، أو لا يكون .

دفع (رمزى) الصُّوَر إلى الأمام ، لقطة فلقطة ، وبدا الجسم وهو يعبرُ دائرة الضوء ، دون أن يبدو منه ما يشير إلى أنه بشرىّ ، حتى أن (محمود) غمغم فى أسف :

ـ ربَّما هو خداع بصرىّ يا (رمزى) .. أو ....

لم يتمّ عبارته ، فقد أوقف (رمزى) المشهد عند لقطة واضحة ..

لقطة يبدو فيها الجزء الأخير من الجسم ، قبل أن يغادر دائرة الضَّوْء ..

وكان هذا الجزء الأخير كافيًا ..

لقد كان قدمًا ..

قدمًا بشريَّة ذات زعانف ..

* * *

« مستحيل !! » ..

ردَّد القبطان تلك الكلمة فى ذُهول ، وهو يضرب كفًا بكفٍّ ، قبل أن يستطرد :

ـ سيحطِّم هذا كل النظريَّات العلمية المعمول بها .. سيضرب كل الآراء والأسس والقواعد فى مقتل .

أجابه (رمزى) فى حزم :

ـ ولماذا تفترض ذلك ؟.. ألا يحتمل أنَّ ما نراه الآن هو الاستثناء الضرورىّ ، لتأكيد كل قاعدة .

هتف القبطان :

ـ إنه ليس مجرَّد استثناء .. إنه كشف يفعل بنا الكثير ، ويقلب أمامنا كل الموازين ، فهو قد يَغنِى صحة نظريتك الأخرى ، التى تشير إلى اختطاف الصِّبية الثلاثة ، لا إلى قتلهم .

هزَّ (رمزى) رأسه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـ أتمَنَّى ذلك ، فأنا أعتمد على نوع من التحليل النفسى ، بافتراض أنه ما دام بشريًّا لم يصل إلى ذلك العمق بعد ، فمن الطبيعى أن مخلوقات ذلك العمق سترى البشر لأوَّل مرَّة ، ولو أنهم متطوِّرون ، حسبما أعتقد ، وحسبما تشير الدلائل ، من



تعاقبت الصُّور فى بطء شديد ، ثم بدأ ذلك الجسم يظهر عند دائرة الضوء ، فأوقف (رمزى) الصُّورة ، هاتفًا : انظرا .

حيث قطعهم لأسلاك نقل الصُوَر فحسب ، وقدرتهم على شقّ جدار (ق ـــ ١) ، باستخدام نوع من الأشعة القويّة ، فيثير وجود الصِّبية الثلاثة فضولهم ، وسيدفعهم إلى محاولة دراستهم ، وبالتالى إلى اختطافهم ، والمحافظة على حياتهم .

لوح القبطان بذراعه ، وهو يقول :

ـــ ولكن نظريتك كلها تعتمد على احتمالات ، وافتراضات محضة .

أجابه (رمزى) فى حزم :

ـــ فيما عدا وجود بشر ، على درجة جيّدة من التطوُّر ، فى أعماق المحيط .

قلَّب (محمود) كفَّيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـــ ولكن من أين جاءوا ؟.. وكيف يحتملون الضغط الرهيب فى أسفل ؟

مطَّ (رمزى) شفتيه ، وهو يقول :

ـــ لدىَّ نظريتان فى هذا الشأن .

غمغم القبطان فى سخط :

ـــ نظريات مرَّة أخرى ؟!

تجاهل (رمزى) تعليقه تمامًا ، وهو يتابع حديثه مع (محمود) ، قائلًا :

ـــ النظرية الأولى تعتمد على نظرية التطوُّر لـ(تشارلز داروين)(*) عن تطوُّر المخلوقات بعضها من بعض ، بدءًا من الكائنات المائية الدقيقة ، إلى الإنسان .. فلو افترضنا أن عجلة التطوُّر لم تنتقل كلها من البحر إلى البر ، وأن جزءًا منها واصل تطوُّره بحرًا ، حتى وصل إلى إنتاج كائنات مائية ، على أعلى درجة من التطوُّر ، فمن المحتمل أن تكون تلك الكائنات شبيهة بالإنسان ، فيما عدا قدرتها على العيش تحت الماء ، واحتمال الضغط الهائل .

غمغم القُبْطان فى سخط :

ـــ مجرَّد نظريّات معقّدة .

مرَّة أخرى تجاهل (رمزى) و (محمود) تعليقه تمامًا ، وسأل (محمود) (رمزى) فى اهتمام :

(*) (تشارلس روبرت داروين) (١٨٠٩ ـــ ١٨٨٢ م) : عالم إنجليزى ، درس الطبّ بأدِنبَرة ، ثم اتجه لدراسة العلوم ، وشُغِفَ بالتاريخ الطبيعىّ ، ووضع النظرية الداروينية ، فى كتابه (أصل الأنواع) ، عام ١٨٥٩ ، وله العديد من الأبحاث فى عالم الحيوان والتطوُّر .

— وماذا عن النظرية الأخرى

شرد (رمزى) ببصره لحظات ، ثم قال :

— إنها أكثر تعقيدًا .

ومطَّ شفتيه ، وكأنما يتردَّد فى الإفصاح عن نظريته الثانية ، ثم بدا وكأنه قد حسم رأيه ، وهو يقول :

— إنها تتعلَّق بقوْم قارَّة (أتلانْتِس) .

اتسعت عينا القُبْطان فى دَهْشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيْه ، وهو يغمغم :

— هُرَاء .

أما (محمود) ، فقد سأل (رمزى) فى اهتمام :

— أتعْنى أن هؤلاء هم بقايا حضارة (أتلانتس) الغارقة ؟

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وهو يقول فى تردُّد :

— إنها مجرَّد نظرية .

هتف القبطان فى صرامة :

— هُرَاء .

ثم عقد كفَّيه خلف ظهره ، وهو يقول :

— كل مانقوله هنا مجرَّد هُرَاء أيها السادة ، وحتى رغبتكما

فى الغوص فى البقعة ذاتها ، للبحث عن الصِّبية محض هُرَاء .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

— أتعْنِى أن الغوَّاصة الثانية لن تصل ؟

هزَّ القبطان رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

— بل ستصل بعد ساعة واحدة ، مع حلول الظلام ، ولكن من العبث أن تتصوَّروا أنكما ستعثران على شىء ، فحتى لو لم تقتل تلك المخلوقات الصِّبية مباشرةً ، فمجرَّد فتحهم لجدار الغواصة يضع الصبية الثلاثة تحت ضغط هائل ، كفيل بسحقهم سحقًا .

روَّعتهما كلماته ، وبعثت فى قلبيهما الرُّعب ، مع تصوُّرهما لمصرع (نشوى) ورفيقيها على هذا النحو ، ورانَ الصمت لحظات ، ثم غمغم (رمزى) فى عِناد :

— ولكننى سأذهب أيها القُبْطان .. شىء يؤكِّد لى أننى سأعود بـ(نشوى) ..

وتسلَّلت إلى صوته نبرة حزينة ، وهو يُرْدِف :

— أو بجثَّتها ..

* * *

٥ ــ رحلة الضَّياع ..

اجتمع المسافرون على ظهر (الهوفركرافت) ، يتطلَّعون فى قلق إلى بحَّارة الحوَّامة ، وهم يُعِدُّون الغوَّاصة الثانية (ق ــ ٢) ، للهبوط إلى الأعماق ، وتركَّزت نظراتهم على (رمزى) ، الذى بدا شديد الحماس والانفعال ، وهو يراجع كل إجراءات الأمان بالغوَّاصة التجريبية الصغيرة ، قبل أن يدلف إليها ..

وهناك ، إلى جوار الغوَّاصة ، كان (رمزى) حقًّا شديد الانفعال ، وهو يهتف فى أعماقه :

ــ تُرى .. أصحيحة هى مشاعرى ؟.. أمن الممكن حقًّا أن أجد (نشوى) ورفقيها على قيد الحياة ؟.. أم أن شعورى بالذنب هو الذى دفع تلك النظرية إلى عقلى ، وبَلْوَرَها ، وجعلها تبدو لى منطقيَّة ، عقلانيَّة ؟.. أمن الممكن أن يكون الضغط قد سحقهم حقًّا فى الأعماق ؟.. ولكن ، لو أن هذا ما حدث ، فلماذا أخرجوهم من الغوَّاصة ؟..

كان عقله نهبًا لعشرات الافتراضات والتساؤلات ، حتى أنه انتفض فى قوَّة ، حينما شعر بيد توضع على كتفه ، والتفت فى حِدَّة إلى صاحبها ، فطالعه وجه (محمود) ، وهو يقول فى خفوت :

ــ هل أزعجتك ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى خفوت مماثل :

ــ كلَّا .. لقد انتزعتنى من شرودى فحسب .

ثم أجبر شفتيه على رسم ابتسامة ، وهو يستطرد :

ــ كم يسعدنى شفاؤك يا عزيزى (محمود) .. سأحتفل به معك ، عندما أعود بـ (نشوى) من الأعماق بإذن الله .

هزَّ (محمود) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ــ ولِمَ لا نحتفل به معًا هناك ؟

حدَّق (رمزى) فى وجهه بدهشة ، وهو يقول :

ــ هناك ؟.. أين تقصد ؟

أشار (محمود) إلى المحيط ، مجيبًا فى هدوء :

ــ فى الأعماق .

هتف (رمزى) فى جَزَع :

ــ أنت ؟!.. أنت تهبط إلى الأعماق ؟!.. يا إلٰهى !!.. ماذا

أصابك يا صديقى ؟.. إننى أعتبر قدومك إلى هنا وَحْده نوع من المخاطرة الجسورة ، أنسيت أنك مصاب بخوف مرضى من البحار(*) ؟

ابتسم (محمود) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـــ كلّا .. لم أنس ذلك ، ولكننى أحاول تجاهله ، فلِمَ لا تتجاهله أنت أيضًا ،

عقد (رمزى) حاجبيه فى حزم ، وهو يقول :

ـــ اسمع يا (محمود) ..

قاطعه (محمود) :

ـــ اسمع أنت يا (رمزى) .. إن (نشوى) هى ابنة (نور) و (سلوى) ، وأنت الصديق الوحيد الباق لى فى هذا العالم ، بعد أن غاب (نور) وزوجته فى غيبوبتهما الطويلة العميقة ، ومهما كانت إصابتى بالخوف من الأعماق ، ومن الأماكن المغلقة ، فهى لن تساوى لهفتى على استعادة (نشوى) ، ولا إصرارى على أن أكون إلى جوارك ، وأنت

(*) راجع قصة (مدينة الأعماق) .. المغامرة رقم (٣) .

تفعل ذلك .. وهذا يَعْنِى أننى ــ وبكل بساطة ــ لن أتنازل عن مرافقتك فى هذه الرحلة ، مهما حاولت ، أو قلت ، أو فعلت .

رانَ عليهما الصمت ، وكل منهما يحدّق فى عينى الآخر ، ثم ابتسم (رمزى) ، ووضع راحتيه على كتفى (محمود) ، وهو يقول فى اعتزاز :

ـــ مرحبًا بك يا صديقى .

ثم تجهّم وجهه مرّة أخرى ، وهو يستطرد :

ـــ مرحبًا بك فى رحلة الضياع ..

* * *

مطّ كبير أطباء مستشفى (القاهرة) المركزىّ شفتيه ، وعقد حاجبيه فى حَيْرة ، وهو يتطلّع إلى الطبيب المسئول عن غرفة العناية المركّزة ، التى يستقرّ فيها جسدا (نور) و (سلوى) ، قبل أن يسأله :

ـــ ماذا يَعْنِى هذا بالله عليك ؟.. لا توجد حلول وسط ، بالنسبة للإشارات المخّية ، فى حالات الغيبوبة العميقة هذه ، فإما أن يعطى المخ إشارات ضعيفة منتظمة ، طوال فترة الغيبوبة ، أو ينشط ، فتأتى اليقظة !

هزَّ الطبيب كتفيه ، قائلًا :

ــ لست أجد تفسيرًا لذلك يا سيِّدى .. لقد نشطت إشارات مُخَّيهما فجأة ، على حين بقى جسداهما على حالتهما ، ثم عادت إشارات مخيهما إلى ما كانت عليه ، وعاد كل شىء إلى وضعه الأوَّل .

هزَّ كبير الأطباء رأسه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ عجبًا !! إنها الظاهرة الأولى من نوعها .

ورفع عينيه إلى شاشات مراقبة أنشطة الجسدين ، وأضاف :

ــ إن كل شىء يبدو لى عاديًّا للغاية و ....

قبل أن يتمَّ عبارته ، قفزت مؤشرات جهاز مراقبة الإشارات المخية بغتة ، وأسرعت فى عملها على نحو جنونىّ ، فاتسعت عينا كبير الأطباء فى دهشة ، وهتف الطبيب المعالج فى انفعال :

ــ هاهى ذى تلك الظاهرة العجيبة تحدث مرَّة أخرى .. إنهما يتلقَّيان رسالة عقليَّة .. رسالة أخرى ..

* * *

هبطت (ق ــ ٢) فى بطء ، نحو أعماق المحيط السحيقة ، وبداخلها (رمزى) و (محمود) وتألَّقت بالأضواء المبهرة ، لتبدِّد ظلام الأعماق ، فغمغم (محمود) فى رهبته ، وهو يتطلَّع عَبْرَ النافذة الزجاجية السميكة :

ــ يا إلٰهى !!.. كم أشعر بضعف الإنسان ، على الرغم من غروره ، أمام هذه المشاهد ، التى تؤكِّد عظمة الخالق وحكمته !!

غمغم (رمزى) :

ــ إننى أشاركك الشعور نفسه يا صديقى .

تمتم (محمود) ، دون أن يرفع عينيه عن المَشْهَد :

ــ أتظن أننا سننجح ؟

تنهَّد (رمزى) ، وقال :

ــ من يَدْرِى ؟

ثم أشار إلى إحدى مؤشرات الغوَّاصة ، مستطردًا :

ــ لقد وصلنا إلى عمق كيلومترين .. نفس العمق الذى اختفت فيه (نشوى) .

ازدرد (محمود) لُعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ــ أتظن أنه سيحدث لنا الشىء نفسه ؟!



بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذُعْر وذُهول ، وتراجع فى حِدَّة وعُنْف ، حتى أنه ارتطم بـ (رمزى) فى قوَّة ..

هزَّ (رمزى) رأسه فى بطء ، وهو يكرِّر :

ــ مَنْ يَدْرِى ؟

التصق بصراهما بالأعماق ، عَبْرَ الزجاج السميك ، وكأنهما يتوقَّعان تكرار نفس المشهد ، الذى رأياه على الشاشات من قبل ، وخيَّم عليهما صمت مشوب بالقلق والتوتُّر ، استغرق وقتًا طويلًا ، قبل أن يقطعه فجأة أزيز مباغت ، انتفض له جسداهما ، وهتف (محمود) فى اضطراب :

ــ ما هذا ؟

أشار (رمزى) إلى مصباح صغير ، يومض بضوء أحمر متقطِّع ، وقال فى انفعال :

ــ لقد توقَّفت آلات التصوير عن نقل الصُّوَر .. لقد قطع شىء ما أسلاك التوصيل .

التصق (محمود) بزجاج النافذة ، وهو يهتف فى توتُّر :

ــ ولكننى لا أرى شيئًا .. كل شىء يبدو هادئًا و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ذُعْر وذُهول ، وتراجع فى حِدَّة وعُنْف ، حتى أنه ارتطم بـ (رمزى) فى قوَّة ، وسقط الاثنان أرضًا ، ولكنهما لم يشعرا بوقع السقوط ، وإنما راحا يحدِّقان فى النوافذ ..

فهنــاك ..

خلف النوافذ السميكة ..

على عمق كيلومترين فى المحيط الأطلنطى ..

حيث يبلغ الضغط ستمائة ضعف للضغط الجوىّ ..

حيث لم يصل بشر من قبل ..

كانت هناك وجوه شبه بشريَّة ..

وجوه خضراء ، صلعاء ، ذات حراشيف لامعة ، وعيون مضيئة ..

وجوه مخلوقات الأعماق ..

سادة الأعماق ..

* * *



٦ ـ من القمة إلى القرار ..

ارتجف جسد قبطان (الهوفركرافت) فى قوة ، حينما انقطع استقبال الصُّوَر ، المرسلة من الأعماق ، وتصبَّب عرق غزير على وجهه ، وهو ينهار فوق مَقْعَده ، ويخفى عينيه براحته ، مغمغمًا فى ألم :

ـ يا إلٰهى !!.. نفس النهاية .. نفس المصير ..

خيَّم الوجوم على وجوه الجميع ، وهم يحدّقون فى الشاشة ، التى صارت بيضاء خاوية ، ثم التفت كل منهم إلى الآخر ، وانتقلت عَبْرَ أجسادهم رعدة قويّة ، وانتقلت أبصارهم إلى حجرة القبطان فى ترقُّب وتوتُّر ..

وهناك ساد صمت رهيب ، استغرق دقيقة كاملة ، قبل أن يجرؤ أحد البحارة على القول :

ـ سيّدى القبطان .. ماذا سنفعل ؟

رفع إليه القبطان عينيه فى شرود وحَيْرة ، وتطلَّع إليه لحظات فى صمت ، ثم غمغم :

ـ نعم .. ماذا سنفعل ؟

استغرق صمته وشروده لحظات أخرى ، قبل أن ينتفض بغتة ، وكأنما ينفض عنه كل هذا ، ويهبّ واقفًا ، هاتفًا :

ـ ارفعوا الغوّاصة الثانية .. أسْرِعوا .

وانعقد حاجباه فى قوّة ، وارتجف صوته فى شِدّة ، وهو يُرْدِف :

ـ قد نستعيدهما هذه المرَّة .. أحياء .

* * *

تجمَّد (رمزى) و (محمود) فى سقطتهما ، وهما يحدِّقان فى وجوه سادة الأعماق ، الذين راحُوا يسبحون بأجسادهم شبه البشريَّة حول الغوّاصة ، ويتطلَّعون بعيونهم المضيئة عَبْرَ النوافذ ، وكأنما يشاهدون بعض حيوانات الزينة ، داخل قفص معدنى له نوافذ زجاجية ..

ثم بدأت الغوّاصة ترتفع ، فهتف (رمزى) :

ـ إنهم ينتشلوننا .

غمغم (محمود) فى ارتياع :

ـ المهم أن يفعلوا ، قبل فوات الأوان .

ارتفع سادة الأعماق مع الغوّاصة الصغيرة فى هدوء ، وهم يواصلون تحديقهم داخلها ، فغمغم (رمزى) :

ـ عجبًا !!.. هل سيتركوننا هذه المرَّة ؟.. أم ....

قبل أن يتمّ عبارته ، برزت فى أيدى المخلوقات كُرَات لامعة ، صوَّبوها نحو جدار الغوّاصة ، فهتف (محمود) فى ذُعْر :

ـ يا إلٰهى !!.. هل سيد ....

بتر عبارته ، حينما انبعثت من الكُرَات اللامعة أشعة قويَّة ، اخترقت جدران الغوّاصة فى ليونة ، كسكِّين حادّ يشق قطعة زُبد طازجة ، وتدفَّقت مياه المحيط إلى الداخل ، وصرخ (رمزى) :

ـ يا إلٰهى !!.. إنهم يخترقون الغوّاصة .. إنهم ....

طار فجأة ـ وقبل أن يتمّ عبارته ـ جزء من جانب الغوّاصة ، واندفعت المياه داخلها فى عنف ، وشعر (محمود) و (رمزى) بآلام الضغط المبرِّحة ، وصرخ عقل (رمزى) ، وهو يشعر بأطنان من الضغط على أذنيه ..

صرخ ينادى كل من يعرف ..

ينادى (نور) ..

و (سلوى) ..

و (نشوى) ..

ثم انهار كل شىء ، وساد ظلام تامّ ..

* * *

اجتمع أطباء مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، فى حجرة العنايـــة المركّزة ، حول جسدى (نور) و (سلـــوى) ، وتطلّعت عيونهم إلى شاشات أجهزة المتابعة الحيوية فى حَيْرة ، حتى هزّ كبير الأطباء رأسه ، وهو يقول :

ــ فى الواقع أيها السّادة ، إننى لم أرَ مثل هذه الظاهرة أبدًا .

عقد أحد الأطباء حاجبيه ، وهو يقول :

ــ أتظن أنها حقًّا رسالة عقلية يا سيِّدى ؟

مطّ كبير الأطباء شفتيه ، وهزّ رأسه ، وهو يقول :

ــ لست أدرى .. لا يمكننى الجزم بالإيجاب أو السلب .. الأمر يحتاج إلى دراسة .

تبادلوا نظرات الحَيْرة ، ثم التفت أحدهم إلى الطبيب المعالج ، يسأله :

ــ أتحدُثُ تلك الظاهرة بغتة ، أم تسبقها علامات مميّزة ؟

تنهّد ، قبل أن يجيب :

ــ بل تحدث فجأة ، ودون سابق إنذار .

سأله فى فضول وشغف واهتمام :

ــ كيف ؟.. هل تبدأ ......؟

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز مباغت ، جعل الجميع يشهقون فى لهفة ، ويرفعون رءُوسهم إلى شاشات المراقبة الحيوية ، ثم يهتف أحدهم :

ــ هاهى ذى .. لقد عادت الظاهرة ..

تعلّقت عيون الجميع بمؤشر رسّام المخ الإليكترونىّ ، الذى راحَ يرسم منحنيات وخطوطًا عنيفة ، ويتقافز فى جنون ، فهتف الطبيب المعالج :

ــ إنها تحدث فى عنف هذه المرّة .. عنف شديد .

ثم اتسعت عيناه فى هَلَع ، وهو يشير إلى شاشة رسّام القلب ، صائحًا :

ــ انظروا .. هناك ظاهرة أخرى تصاحبها هذه المرّة .. إن قلبيهما ينبضان فى عنف .

أيضًا .. هناك شىء ما يحدث .. شىء ما يحدث بالتأكيد ..

لم يكن قوله دقيقًا تمامًا ..

صحيح أنه كان هناك شيء ما يحدث ، ولكن هناك عبارة صحيحة ..

هناك شيء خارق يحدث ..

خارق للعادة ..

ولكل القوانين ..

* * *

أطنان من الضغط الهائل هاجمت (رمزى) و (محمود) ..

رُعب هائل ملأ قلبيهما ، وهما يواجهان الموت ، على عمق كيلومترين ، تحت سطح المحيط الأطلنطى ..

وبعد مقاومة لم تستغرق ثانية واحدة ، فقد كلاهما وعيه ..

وشعر (رمزى) أنه يهْوِى فى قرار سحيق .. مظلم .. دامس .. مخيف ..

قرار بلا قرار ..

وسبح بلا هُدَى ..

بلا هدَف ..

بلا نهاية ..

سبح فى فراغ هائل ، بلا أقطاب أو اتجاهات ..

ولم يعُد يشعر بالألم ..

كان كمن يسبح فى الفضاء ، وهو يحمل كل هدوء الدنيا فى أعماقه ..

وفجأة .. رآهما ..

رأى (نور) و (سلوى) ..

رآهما يقتربان منه فى سرعة ..

أو أنه هو كان يقترب منهما ..

لا أحد يدرى ..

لقد كان يقف ساكنًا ، وهما كذلك بديا ساكنين ، ولكنهما يقتربان منه فى سرعة ..

ثم توقَّف على قيد أمتار منهما ، أو أنهما توقَّفا على قيد خطوات منه ..

وكان وجهاهما يحملان قلقًا شديدًا ..

وسألهما :

ـــ (نور) .. (سلوى) !!.. حمدًا لله .. متى استعدتما وعيكما ؟

أجابته (سلوى) فى صوت عميق ، بدا له وكأنه يأتى من أعماق بئر سحيقة :

ـ دَعْـك منَّـا يا (رمزى) .. المهـم ابنتنـا .. أيــن (نشوى) ؟

شعر بالخجل ، والألم ، والمرارة ، وهو يقول :

ـ (نشوى) ؟!.. إنَّها .. إنَّها .....

قاطعه (نور) ، قائلًا :

ـ نحن نعلم ما حدث يا (رمزى) .. نعلم أن مخلوقات الأعماق قد اختطفتها ، ولكن أين ذهبوا بها ؟.. لقد فقدنا اتصالنا بها .

غمغم فى حيْرة :

ـ لست أدرى .. إننا نبحث عنها أنا و (محمود) .. لقد هبطنا خلفها ، ولكن .....

قاطعته (سلوى) :

ـ اطمئن يا (رمزى) .. ستبقى على قيد الحياة .. قد يُعانى (محمود) بعض المتاعب ، ولكنك ستبقى .. من أجل ابنتنا يا (رمزى) .

هتف فى حرارة :

ـ سأفعل ما بوسعى للعثور عليها وإنقاذها .. أُقسم أن أفعل .

خُيِّل إليه أنهما يبتعدان ، وأنهما يبتسمان ، و (نور) يقول فى صوت متراجع :

ـ إننا نعلم أنك ستفعل يا (رمزى) .. إننا نثق بك .. نثق بك كثيرًا ..

خفت صوتهما تدريجيًّا ، وهما يبتعدان ، ويختفيان وسط ظلام دامس ، ويردِّدان :

ـ إننا نثق بك .. نثق بك كثيرًا .

أراد أن يتكلَّم .

أن ينطق بشىء ما ..

ولكنه عجز ..

عجز تمامًا ..

ورآهما يختفيان ، ويتلاشيان ..

وعندما اختفيا تمامًا ، وتلاشيا للنهاية ، انحلَّت عقدة لسانه ، وغمغم فى خفوت :

ـ سأحاول .. سأبذل كل ما بوسعى ..

وفجأة .. هبط من القمة إلى القرار ..

واستيقظ ..

* * *

اتسعت عيــون الأطبــاء ، المحيــطين بجسدى (نور) و (سلوى) ، فى دهشة يحدّقون فى شاشة الأجهزة ، وهتف أحدهم :

ــ لقد انتهت الظاهرة .

أسرع الجميع يفحصون الجسدين فى خبْرة كاملة ، وغمغم أحدهم :

ــ عجبًــــا !!.. ماذا يحدث ؟!.. ياَلها من ظاهــــرة عجيبة !!.. لقد ظهرت فجأة ، وانتهت فجأة !.. لقد عاد المخ والقلب إلى هدوئهما !.. عجبًا !!

غمغم الطبيب المعالج ، الذى يقف صامتًا فى ركن الحجرة ، وجسده يموج بالانفعال :

ــ لقد انتهت الرِّسالة .

التفت إليه كبير الأطباء ، يسأله فى حِدَّة :

ــ أيَّة رسالة ؟!

أجابه الطبيب الشّابّ فى رَهْبة :

ــ الرسالة العقلية ، التى استقبلاها ، أو أرسلاها الآن .

عقد كبير الأطباء حاجبيه ، وهو يهتف به فى حَنَق :

ــ أىُّ هُرَاء هذا ؟

بدا الطبيب شديد التوتُّر والانفعال ، وهو يقول :

ــ قُل ماتشاء يا سيِّدى ، ولكننى أصرّ على قولى .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى حزم :

ــ إنها رسالة ..

* * *

استيقظ (رمزى) بغتة ، وفتح عينيه دفعة واحدة ، وبدا له المشهد مشوَّهًا فى اللحظات الأولى ، ثم لم يلبث أن تبيَّن عدة وجوه حرشوفية خضراء صلعاء تنحنى نحوه ، وتتطلَّع إليه بعيون مضيئة مخيفة ، فاتسعت عيناه فى ذُعْر ، وغمغم فى ارتياع :

ــ أين أنا ؟.. أين (محمود) و (نشوى) ؟.. أين هما ؟

لم ينبس أحد هذه المخلوقات بحرف واحد ، وإنما راحت بعض الرموز الملوَّنة العجيبة ترسم فوق شاشة كريستالية كبيرة خلفهم ، على نحو يؤكِّد مدى تقدُّمهم العلمىّ ، وتفوُّقهم العقلىّ ..

وبدأ الرُّعْب والذُّعر فى نفس (رمزى) فى التلاشى تدريجيًّا ، وبدأ عقله يعمل ، ويدرس الأجسام المتطلِّعة إليه ..

كان التكوين العامّ بشريًّا ..

جسم وذراعان ، وساقان ، وعنق ورأس ..

تمامًا مثل البشر ..

وكان كل مخلوق منهم يرتدى زيًّا زيتونىّ اللّون ، لامعًا ، من قطعة واحدة ، وتبرز منه يدان حرشوفيّتان ، وأصابع بلا أظفار ، تربطها أغشية خضراء شفّافة ، تجعلها أشبه بأقدام الضفادع ، والوجه أصلع ، حرشوفىّ ، بلا أنف ، وإنما بخيشومين جانبيين ، فى مستوى عظام الفك تمامًا ، وفم رفيع طويل ، وعيون لامعة مضيئة ، تبدو كقطعة واحدة ، وإن كان المدقّق فيها يلاحظ أنها تحوى قرنية أقلّ لمعانًا ..

وهدأت نفس (رمزى) قليلًا ، حينما لاحظ أنه ما يزال على قيد الحياة ، وعاد يسأل فى لهجة أقل توتُّرًا :

ـــ أين أنا ؟

عادت تلك الرموز العجيبة الملوّنة ترتسم على الشاشة الكريستالية ، وتابعتها عيون المخلوقات فى اهتمام ، ثم أخذوا يتبادلون إشارات صامتة ، أثارت دهشة (رمزى) واهتمامه ، قبل أن يميل أحد المخلوقات نحوه ، ويسأله بلغة عربية ، وبصوت خشن جاف :

ـــ مَنْ أنت ؟

شعر (رمزى) بدهشة بالغة ، حينما تحدّث إليه المخلوق

بلغته ، ولكن صوت هذا الأخير أثار فى نفسه قُشَعْرِيرة باردة ، جعلته يغمغم :

ـــ أنا .. أنا طبيب نفسى مصرىّ .. أُدْعَى (رمزى) .. هل .. هل تتحدَّثون لغتنا ؟

بدت له ملامح المخلوق جامدة ، وهو يقول بنفس الصوت الخشن الجاف :

ـــ أنا وحدى .. الباقون ليسوا كذلك حتى الآن .. فى القريب سيفعلون ..

ثم أشار إلى الشاشة الكريستالية ، مستطردًا :

ـــ حينما يكتمل العمل .

تطلّع (رمزى) إلى الشاشة فى اهتمام ، وهو يقول :

ـــ أهو جهاز ترجمة خاص ؟

راح الجهاز يرسم نفس الرموز فى سرعة ، على حين أجاب المخلوق :

ـــ نعم .. إنه كذلك .. تقريبًا .

اعتدل (رمزى) ، وقد بدأ الهدوء والاتزان يزيحان التوتُّر والانفعال من نفسه تمامًا ، وسأل المخلوق :

ـــ أين زميلى ؟.. أين (محمود) ؟



بدت له ملامح المخلوق جامدة ، وهو يقول بنفس الصوت الخشن الجاف :
ــ أنا وحدى .. الباقون ليسوا كذلك حتى الآن ..

صمت المخلوق لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب المعنى ، ثم قال بصوته الخشن الجاف :

ــ أتقصد ذلك الكائن النحيف الضعيف ، الذى كان يصحبك ؟

أجابه (رمزى) فى اهتمام :

ــ نعم .. أين هو ؟

أشار المخلوق بأصابعه ، ذات الزعانف الشفَّافة ، إلى ماخلف (رمزى) ، قائلًا :

ــ هاهو ذا .

استدار (رمزى) إلى حيث أشار المخلوق فى لهفة ، ثم اتسعت عيناه ذعرًا ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !!.. (محمود) !!

فقد كان رفيقه يسبح داخل حوض ضخم .. أو بمعنى أدقّ فى أعماق حوض ضخم ..

وكان جسده ساكنًا تمامًا ..

كأجساد الموتى ..

* * *

٧ ــ البعثة ..

حلَّقت هليوكوبتر نوويّة أخرى ، فوق الحوَّامة الجوّيرمائية لحظات ، حتى تلقَّت الإذن بالهبوط ، فهبطت على سطح الحوَّامة ، وغادرها رجل أقرب إلى البدانة ، طيِّب الملامح ، اختلط بياض شعره بلونه البنّىّ وخصلاته القصيرة المجعَّدة ، واتجه نحو القُبُّطان ، وقدَّم نفسه ، قائلًا :

ــ الدكتور (محمد حجازى) .. مُوفد من قبل المخابرات العلمية المصرية ، لمتابعة الحادث .

أشار القُبُّطان فى مرارة إلى جسم الغوَّاصة الثانية ، التى تمَّ انتشالها ، وهو يقول :

ــ أى حادث ؟ .. إننى أفضِّل استخدام لفظ (الكارثة) .. لقد فقدنا زميليك أيضًا .. لقد انتشلنا الغواصة الثانية أيضًا فارغة .

كان من الواضح أن الدكتور (محمد حجازى) يُعَانِى حزنًا وتوتُّرًا شديدين ، إلَّا أن صلابة هذا الرجل جعلته يتماسك ، وهو يقول فى هدوء حازم :

ــ فليكن .. إننى هنا لدراسة الأمر ، واستكمال البحث ، وستبقى حوَّامتك فى موضعها ، وستصل بضع طوَّافات ، تتبع الطيران المصرى ، لنقل الركَّاب إلى وجهتهم النهائية .

تنهَّد القبطان فى عمق ، وهو يقول :

ــ هل تتوقَّع أن تتوصَّل إلى شىء

أجابه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ــ بالتأكيد .

هتف به القُبُّطان فى مرارة :

ــ كيف ؟

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، ومضت لحظة صمت ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ــ بتكرار المحاولة .

حدَّق القُبُّطان فى وجهه غير مصدِّق ، قبل أن يهتف :

ــ مستحيل !.. أتعْنِى ...؟

قاطعه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ــ وهل هناك وسيلة أخرى ؟

ثم أدار عينيه تجاه المحيط ، مستطردًا :

— ليس أمامنا سوى الغوص خلفهم .. خلف الجميع .

* * *

مضت لحظة من الذهول ، و (رمزى) يحدّق فى جسد (محمود) ، الذى يسبح فى بطء ، فى أعماق الحوض ، ثم انتابه غضب هائل ، سرَى كالنار فى عروقه ، وجعله ينسى كل المخاطر التى تحيط به ، ويصرخ فى ثورة :

— أيها الأوغاد !

ثم قفز من المنضدة ، التى وضعوه فوقها ، والتقط شيئًا بدا له أشبه بالمقعد ، واندفع نحو الحوض الزجاجى الضخم ، وراح يضربه فى قوّة ، محاولاً تحطيمه ، إلّا أن محاولته لم تسفر إلّا عن لُهاثه ، وخفَقان قلبه فى قوّة ، على حين قال المخلوق ، الذى يتحدّث العربية ، فى هدوء ، وبصوته الخشن الجاف :

— لماذا ؟.. لماذا فعلت ذلك ؟

استدار إليهم (رمزى) فى حِدّة ، وصاح فى ألم غاضب ، وهو يشير إلى الحوض :

— لقد قتلتموه .. لقد أغرقتموه .. مامن بشر يحتمل البقاء هكذا طويلا .

قال المخلوق فى هدوء :

— من قال إننا قتلناه ؟!.. إننا نعالجه .

هتف (رمزى) فى دهشة :

— تعالجونه ؟!

وعاد يلتفت إلى الحوض فى دهشة ، ولاحظ لأوّل مرّة مجموعة من الأنابيب الشفّافة الدقيقة ، تتصل بجسد (محمود) ، وبقناع شفّاف رقيق يحيط برأسه وعنقه ، لم يلمحه فى البداية لشدة شفافِيَتِهِ ، فعاد يغمغم فى دهشة :

— تعالجونه ؟!

قال المخلوق فى هدوء :

— إنه لم يحتمل المفاجأة .. أنت احتملتها .. نحن أحطناكم جميعًا بغلاف قوىّ ، يقيكم أثر الضغط الهائل ، قبل أن ننقلكم إلى هنا .. هو لم يحتمل .. أصابته نوبة عصبيّة ، وصرخ فى هستيرية .. ونحن نعالجه .

أدرك (رمزى) على الفور أنه صادق ، وإلّا فما نجا هو ، وظلّ على قيد الحياة ، وإلّا فما أصابت الصدمة (محمود) ، إلّا أن إدراكه لهذه الحقيقة لم يحجب دهشته ، فعاد يردّد :

— تعالجونه تحت الماء ؟!

قال المخلوق :



وعاد يلتفت إلى الحوض فى دهشة ، ولاحظ لأوَّل مرَّة مجموعة من الأنابيب الشفَّافة الدقيقة ، تتصل بجسد (محمود) ..

ـــ هذه هى وسيلة علاجنا .. إنها وسيلة فعَّالة .. اطمئن .

استدار إليهم (رمزى) ، وراح يتطلَّع إليهم فى حَيْرة ، قبل أن يقول :

ـــ من أنتم ؟

خُيِّل إليه أنَّ المخلوق قد ابتسم ، وأن ابتسامته لم تستغرق سوى جزء من أعشار الثانية ، عاد بعدها إلى جموده ، وهو يقول :

ـــ من تتصوَّرنا ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ إما قمَّة سلسلة تطوُّر أرضية بحرية .. أو سكَّان (أتلانتس) القدامى .. أَعْنِى نسلهم .

أجابه المخلوق فى هدوء :

ـــ لا هذا ولا ذاك .

ازداد انعقاد حاجبى رمزى ، وهو يهتف :

ـــ من أنتم إذن ؟

صمت الرجل لحظة ، ثم قال كمن يلقى قنبلة :

ـــ إننا بعثة .. بعثة من كوكب آخر ..

* * *

٨ ــ المائيُّون ..

انعقد حاجبا (رمزى) فى ذهول ، وهو يحدِّق فى وجه المخلوق ذى الحراشيف اللامعة ، وخُيِّل إليه لحظة أنه يعيش حلمًا مزعجًا ، فهزَّ رأسه فى قوَّة ، ليستعيد قدرته على الاستيعاب ، قبل أن يعود للتحديق فى وجه المخلوق ، مردِّدًا :

ــ بعثة من كوكب آخر ؟!

أجابه المخلوق فى هدوء :

ــ نعم .. كوكب مائى ، يبعد عن كوكبكم ثمانين سنة ضوئية فحسب .. لقد انطلقنا من كوكبنا منذ خمسة أعوام ، ووصلنا إلى كوكبكم منذ عام ونصف من زمنكم تقريبًا .. ولقد تصوَّرنا أنه كوكب مائى مثل كوكبنا ؛ نظرًا لأن الماء يغطى ثلاثة أخماس كوكبكم هذا ، حتى أنه لمن المدهش حقًّا أنكم تعيشون على البرِّ ، أى على خُمسى مساحة كوكبكم فحسب ، فالماء يغطى خمسة أسداس كوكبنا ، فنشأت الحياة لدينا مائية صرفة ، أو بمعنى أدق برمائية .. فنحن نحيا خارج الماء وداخله ، ولكننا

لا نستطيع قضاء فترات طويلة خارج الماء ، وإلّا اختنقنا .. المهم أننا قد وصلنا إلى هنا منذ عام ونصف ، ووجدنا فى كوكبكم المناخ المثالى لنا .. ولمَّا كانت أجسادنا مؤهَّلة لتحمُّل الضغوط العالية ، بخلاف أجسادكم ، فقد استقررنا فى أعماق المحيط ، ودرسنا كل ما حولنا فى دقَّة ، واستغرقت دراستنا خمسة أشهر فحسب ، وعندما أردنا العودة إلى كوكبنا ، وجدنا سفينة متطوِّرة تطُوف بكوكبكم ، وتمنعنا من مغادرته ، كما تمنع أيَّة سفينة فضاء أخرى من الدخول إليه .

هتف (رمزى) :

ــ أتقصد تلك السفينة الفضائية الإمبراطورية الأرغورانية ، التى يقودها (س ١٨) ؟[*] .

أجابه المخلوق فى هدوء :

ــ ربَّما .. لسنا ندرى ما الاسم الذى تطلقونه عليها .

هتف (رمزى) فى انفعال :

ــ أتعْنِى أن وجود (س ١٨) فى مداره ، هو فقط ما يمنعكم من مغادرة كوكبنا ؟

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

صمت المخلوق لحظة ، ثم أجاب :

ــ نعم .. كان هذا هو وحده السبب فى البداية .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى توتُّر :

ــ ماذا تَعْنِى ؟.. أنشأت أسباب أخرى ؟

عاد المخلوق إلى صمته بعض الوقت ، قبل أن يقول :

ــ عندما أجبرتنا تلك السفينة الفضائية على البقاء ، رُحنا ندرس إمكاناتها ، ونسعى لابتكار وسائل شتى لمقاومتها ، والقضاء عليها ، حتى يمكننا العودة إلى كوكبنا ، وفى هذه الأثناء ، رُحنا نتبادل الرسائل مع كوكبنا الأم حتى وصلتنا رسالة غيَّرت كل خُططنا .

لم يفُه (رمزى) بحرف واحد ، وإن خُيِّل إليه أنه قد فهم ما سيلى ذلك ، ولقد كان تصوُّره قريبًا جدًّا من الواقع ، وهذا ما تأكَّد له ، حينما أكمل المخلوق :

ــ أثارت تلك الرسالة قلقنا فى شدة ، فلقد كان أهلنا هناك يخبروننا أن شمس كوكبنا قد اقتربت منه فى شدة ، وتضخَّمت ، فارتفعت حرارة الكوكب ، وراحت مياهه تتبخَّر ، وتتحوَّل إلى سحب كثيفة ، وعلى الرغم من ذلك لم تعُد هناك أمطار .. تصوَّر كوكبًا مائيًا ، يعيش كل سكَّانه تحت

الماء ، حينما يصيبه الجفاف .. إن هذا يَعْنِى كارثة هائلة .. ضياع الملايين من السكَّان ، ومصرعهم .. كانت مأساة مخيفة ، تحتِّم على الجميع البحث عن حلول وبدائل .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ وكان كوكبنا هو البديل .. أليس كذلك ؟

خُيِّل إليه مرة أخرى أن شبح ابتسامة قد مرَّ بوجه المخلوق ، قبل أن يقول :

ــ تقريبًا .

تفجَّر القلق فى أعماق (رمزى) ، وهو يقول :

ــ وهل سيعْنِى ذلك نوعًا من التعايش السِّلمى ؟

قال المخلوق فى هدوء :

ــ لو أمكن .

سأله (رمزى) فى حِدَّة :

ــ ماذا تَعْنِى بـ(لو أمكن) ؟

صمت المخلوق بعض الوقت ، ثم التفت إلى رفاقه ، وتبادل معهم حديثًا بلغة عجيبة ، جافَّة المخارج ، خشنة الألفاظ ، و (رمزى) يتابعهم فى حَيْرة ، قبل أن يقول فى عصبيَّة :

ــ ماذا هناك بالضبط ؟

التفت إليه المخلوق ، وقال فى لهجة بدت صارمة :

ـ انتظر .. إننا نتناقش .

ثم عاد يتبادل ذلك الحديث الخشن الجاف مع رفاقه ، قبل أن يلتفت إلى (رمزى) ، ويقول فى هدوء :

ـ لقد قرَّر الرفاق أن نشرح لك كل شىء بالتفصيل .

غمغم (رمزى) فى توتُّر :

ـ إننى أتعشَّم ذلك .

أومأ المخلوق برأسه ، وكأنما يعلن تفهُّمه للأمر ، ثم قال :

ـ المهم أن تتقبَّل ذلك .

تنبَّه (رمزى) فجأة إلى نقطة عجيبة ، فهتف :

ـ مهلًا .. إنك تتحدَّث معى الآن بطلاقة عجيبة ، على عكس حديثك المتوتِّر المتقطِّع فى البداية ، فماذا حدث بالضبط ؟

أجابه المخلوق فى هدوء :

ـ لقد اكتملت دراستى للغتكم فى أثناء حديثنا .. أيبدو لك هذا عجيبًا ؟!

غمغم (رمزى) وهو يمطُّ شفتيه :

ـ كلَّا .. إنه لا يبدو لى كذلك .

صمت المخلوق لحظة ، قبل أن يقول :

ـ حسنًا .. فلنعُد إلى حديثنا .. لقد كان أملنا فى البداية أن ننتقل إلى كوكبك فى حملة سلمية ، وأن يحدث تعايش سلمى بيننا وبين بنى جنسك ، ثم تبيَّنت لنا حقيقة تقلب كل ذلك رأسًا على عَقِب .

عاد إلى صمته لحظة أخرى ، ثم استطرد :

ـ إنكم لا تقدِّرون أبدًا تلك المساحة الهائلة ، التى يحوزها كوكبكم من المياه ، فأنتم تصرُّون على تلويثها فى كل لحظة ، وبكل الوسائل .. إنكم تصبُّون مخلفاتكم ونفاياتكم فى البحار والمحيطات ، وتجرون عشرات التجارب على التفجيرات النووية ، والهيدروجينية ، وما يفُوق ذلك فى أعماق البحار ، ولديكم سفن وطائرات ، تلقى مخلفاتها فى لامبالاة فى البحار والمحيطات .. وكل هذا يؤذى قومنا .

خُيِّل لـ (رمزى) أن صوت المخلوق قد اكتسى بصرامة عجيبة ، وهو يُرْدِف :

ـ باختصار .. إن جنسكم يمثِّل خطرًا بالغًا على جنسنا .

هتف (رمزى) فى توتُّر :

ــ ولكنه كوكبنا ، ونحن وحدنا أصحاب الحق فى كل ما عليه .

قال المخلوق فى حدَّة مفاجئة :

ــ خطأ .. إن استهتاركم وإهمالكم يحطِّمان حياة المائيين فى شدة وعنف .. إنكم لا تستحقون حيازة كل هذه المساحات المائية .. إنكم شعب برِّىّ ، ولستم شعبًا بحريًّا ..

هتف (رمزى) :

ــ ولكن الماء هو عماد حياتنا .

صاح المخلوق :

ــ لِمَ تفسدونه إذن ؟

لوَّح (رمزى) بذراعه ، وهو يهتف :

ــ هذا شأننا ، وحقُّنا .

صاح المخلوق فى صرامة :

ــ كلَّا .. ليس هذا حقكم .

ثم أردف فى حزم :

ــ إنه حقُّنا نحن .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ يا له من منطق استعمارىّ بغيض !!

قال المخلوق فى برود :

ــ يمكنك تصنيفه كيفما تشاء ، ولكن هذا الكوكب لن يحتملنا معًا .

شحب وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ــ ماذا تعْنِى ؟

مرَّت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول المخلوق فى برود :

ــ أعْنِى ــ وبكل بساطة ــ أن هذا الكوكب لا يحتمل شعبينا معًا .

ثم اكتسى صوته مرَّة أخرى بالصرامة ، وهو يُرْدِف :

ــ ولقد قرَّرنا ــ لكى يحيا شعبنا ــ أن نقتل شعبك .. أن نبيده عن آخره .

اتسعت عينا (رمزى) فى ذُعْر ، وتراجع فى فَزَع ، وهو يغمغم :

ــ تبيدوننا ؟!..

أجاب المخلوق فى برود :

ــ نعم .. نبيدكم جميعًا .. هذه هى الوسيلة الوحيدة لبقاء شعبنا .

ألجمت المفاجأة لسان (رمزى) لحظات ، قبل أن يغمغم فى صوت مختنق :

— ومن قال : إنه سيمكنكم ذلك ؟.. إن (س ١٨) يطوف بالسفينة الفضائية الأرغورانية حول الأرض ، ومهمته لا تقتصر على منع غزوها من خارجها فحسب ، وإنما تمتد إلى منع أى نوع من الحروب داخلها ، وهو لن يسمح لكم بإطلاق قذيفة واحدة .

فى هذه المرَّة ، ارتسمت ابتسامة واضحة على شفتى المخلوق الرقيقتين ، وهو يقول :

— ومن قال إننا سنفعل ؟.. إننا لن نطلق قذيفة واحدة .. بل إن كل ما سنفعله هو أن نساعدكم على النُموّ .

لم يفهم (رمزى) العبارة ، فعقد حاجبيه فى حَيْرة ، على حين استطرد المخلوق فى لهجة أقرب إلى السخرية :

— النُمو حتى الموت ..

* * *



٩ ــ المحاولة الأخيرة ..

عقد قبطان (الهوفركرافت) حاجبيه فى حنق ، وهو يراقب آخر طوَّافات المخابرات العلمية المصرية ، وهى تنقل آخر الركَّاب ، ثم أدار عينيه إلى اليسار ، حيث يتمّ إعداد الغوَّاصة الثالثة (ق ــ ٣) ، للغوص فى الأعماق ، وقال فى حِدَّة :

ــ خطأ .. كل ما يحدث خطأ .

التفت إليه الدكتور (محمد حجازى) ، وسأله فى هدوء :

ــ ما الخطأ الذى تَعْنِيه ؟

لوَّح القبطان بذراعه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ كل هذا خطأ .. حتى موافقة المسئولين فى الشركة ، على منحكم غوَّاصة ثالثة ، نوع من الحماقة والخطإ .

سأله الدكتور (محمد حجازى) فى هدوء :

ــ لماذا ؟

هتف فى حَنَق :

ــ لأننا لا ندرى ماذا يحدث فى أسفل .. لقد هبطت غوَّاصة أولى ، واختفى الصِّبية الثلاثة ، الذين كانوا داخلها ،

ثم عادت إلينا مشقوقة على نحو مخيف ، وكأنها قطعة من الزُّبد قطعها سكِّين حادّ ، وبعدها هبطت غوَّاصة أخرى ، تحمل رجلين من رجالكم بلغ بهما الحماس مبلغه ، فأصابها ما أصاب الأولى ، واختفى راكباها .. وإنى لأتساءل : كيف يمكن لك أن تكرِّر الخطأ نفسه ؟

أجابه الدكتور (محمد حجازى) فى صوت عميق :

ــ لأنه واجبى .

تطلَّع إليه القُبْطان فى دهشة ، وهو يردِّد :

ــ واجبك ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم أيها القبطان .. إنه واجبى .

وترقرقت فى عينيه دمعة حارَّة ، وهو يردف :

ــ قد يُدهشك أننى لست أحد رجال المخابرات العلمية ، بل أنا فى الواقع طبيب شرعى .. كبير الأطباء الشرعيين فى (مصر) ، وعضو منتدب بإحدى فرق المخابرات العلمية المصرية ، وهو فريق نادر ، بدأ فى الانهيار مثل ما يقرب من عام كامل .. فقائد هذا الفريق هو الرائد (نور الدين) ، الذى يرقد مع زوجته فى غيبوبة كاملة منذ عام ، وتلك الصَّبيَّة ، التى

اختفت فى الغوَّاصة الأُولى ، هى ابنتهما ، وهذان الرجلان ، اللذان خاطرا بروحيهما لاستعادتها هما عضوا الفريق .. ولتعلم أيها القبطان أن هذا الفريق من أعظم فرق المخابرات فى العالم ، وأن أفراده قد خاطروا بأرواحهم وأنفسهم عشرات المرَّات ؛ ليحافظوا على حياتك وحياتى ، وليذُودُوا عن وطنهم تارة وعن العالم تارة أخرى ، ومن حقِّهم علينا ، حينما يواجهون الخطر ، أن نفعل كل ما بوسعنا للذَّوْد عنهم .. إنهم يستحقُّون منَّا ذلك .. أليس كذلك ؟

صمت القُبْطان طويلًا ، وشرد ببصره بعيدًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ــ بلَى .. إنهم يستحقون ذلك .

وأشار بيده ، مستطردًا :

ــ هيَّا .. لابدَّ لنا من إعداد الغوَّاصة فى أسرع وقت ، فستستغرق رحلتنا طويلًا .

تطلَّع إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ــ رحلتنا ؟!

أجابه فى حزم :

ــ بالطبع .. هل تصوَّرت أننى سأسمح لك بالذهاب

وحدك ؟.. صحيح أن كل ما يحدث عبارة عن حماقة ، إلّا أننى أرفض أن أتميَّز عن الآخرين دوْمًا ، ومادامت الحماقة قد أصابتهم جميعًا ، فلِمَ أتميَّز أنا ؟

التمعت عينا الدكتور (حجازى) ببريق اللَّهفة ، على حين استطرد القبطان :

ــ إنهم يستحقُّون ذلك .. أليس كذلك ؟

* * *

حدَّق (رمزى) فى وجه المخلوق المائىّ فى دهشة ، وهو يسأله فى حَيْرة :

ــ ماذا تقصد بقولك : إنك ستجعل أهل الأرض ينمُون حتى الموت ؟

ابتسم المخلوق ، وهو يقول :

ــ الحرب الكيميائية أيها الأرضى .. هكذا تطلقون عليها .. أليس كذلك ؟

عاد (رمزى) يسأله فى عصبيَّة :

ــ ماذا تعْنِى ؟

أجابه المخلوق فى هدوء :

ــ منذ علمنا بأمر الكارثة ، التى ينتظرها كوكبنا ، رُحنا

نجرى أبحاثنا فى اتجاهين .. أوَّلهما : هو كيفية التغلُّب على تلك السفينة الفضائية ، التى ستعترض حتمًا سفن كوكبنا ، حينما تأتى إلى هنا .. وثانيهما : هو كيف يمكننا القضاء على سكَّان كوكب الأرض ، بوسيلة لا تستثير تلك السفينة الحارسة .. ولقد حققْنا ثانيًا قبل أوَّلًا .. وجدنا الوسيلة .

صمت لحظة ، كاد (رمزى) خلالها يقضى فضولًا ، قبل أن يستطرد :

ــ وسيلة كيميائية متطوِّرة .. عقَّار رائع ، له نفس كثافة الماء ، بالإضافة إلى خواص أخرى ستدهشك ، فهو يدفع أجسادكم إلى النمو فى سرعة مخيفة .

غمغم (رمزى) فى شحوب :

ــ أتقصد أننا سنتحوَّل إلى عمالقة ؟

هزَّ المخلوق رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ــ بل إلى كهول .

اتسعت عينا (رمزى) فى ذُعْر ، وقد أدرك فداحة الموقف ، وانعقد لسانه ، فلم ينطق بحرف واحد ، والمخلوق المائىّ يستطرد :

ــ إننا سنُطلق عقَّارنا فى البحر ، وبخواصِّه النادرة سيتبخَّر

مع المياه التى تبخّرها أشعة الشمس ، ويختلط بالسحب ، ثم يهبط مع الأمطار فى منابع الأنهار ، وينطلق ليروى المزروعات ، ولترتووا منه أنتم .. وفجأة تبدءُون فى النمو .. الطفل سيصبح شابًا بعد الجرعة الأولى ، والرجل يتحوَّل إلى كهل ، والكهل يذبل ويموت .. وما هى إلا إيام ، ويفنَى كل سكَّان الأرض بالشيخوخة ، قبل أن يدركوا من أين أتاهم الموت .

غمغم (رمزى) فى ارتياع :

ــ ياللبشاعة !!

هتف المخلوق :

ــ بل قُل ياللرَّوعة !! إن عقَّارنا سيتيح لنا السيطرة على كوكبك كله فى أقلّ من أسبوع ، حينما تكتمل تجاربنا عليه .

شحب وجه (رمزى) فى شدة ، وهو يهتف :

ــ إنك تكذب .. لا وجود لمثل هذا العقّار .. إنك تكذب .

ارتسمت ابتسامة على شفتى المخلوق ، وهو يقول :

ــ هكذا ؟!

ثم اتجه نحو حوض زجاجىّ مغطًى ، وكشف عنه الغطاء ، وهو يقول :

ــ أتعلم ما هذا ؟

حدَّق (رمزى) فى جسد عجوز متغضّن ، يرقد داخل الحوض ، وملامحه تشفّ عن خُلُوّ جسده من الروح ، وغمغم :

ــ تقصد من هذا ؟.. لست أدرى .. إنه عجوز فى السبعين على الأقل .

ابتسم المخلوق ، وقال :

ــ بل هو أحد الصبَّيين ، اللذين أخذناهما من الغوَّاصة الأولى ، بعد أن أعطيناه جرعة كبيرة من العقَّار .

تراجع (رمزى) فى رُعب ، وهو يهتف :

ــ أحد الصَّبيَّين ؟!.. يا إلٰهى !!

واتسعت عيناه ذُعْرًا ، وهو يستطرد :

ــ وأين (نشوى) ؟!.. ماذا أصاب (نشوى) ؟

سأله المخلوق فى اهتمام :

أتقصد الصَّبِيَّة ؟

أومأ (رمزى) برأسه فى ارتياع ، فأشار المخلوق إلى حوض آخر ، وهو يقول :


وخفق قلبه فى اطمئنان ، حينما رفع المخلوق الغطاء ، فوجد (رمزى) (نشوى) ترقد داخله ، بجسد طفلة فى العاشرة ، استغرقت فى نوم عميق ..

ـ إنها هنا .

ثم اتجه نحو الحوض ، ليرفع عنه الغطاء ، فتجمَّدت أطراف (رمزى) ، وارتجف فى شدة ، وهو يخشى أن يجد داخل الحوض عجوزًا شمطاء ، ثم لم يلبث أن تنهَّد فى ارتياح ، وخفق قلبه فى اطمئنان ، حينما رفع المخلوق الغطاء ، فوجد (رمزى) (نشوى) ترقد داخله ، بجسد طفلة فى العاشرة ، استغرقت فى نوم عميق ، وهتف (رمزى) :

ـ حمدًا لله .. إنها بخير .

قال المخلوق فى هدوء ، وهو يشير إليها :

ـ إننا ندَّخرها لتجربة أخرى .

صاح (رمزى) فى ارتياع :

ـ كلَّا .. ليس (نشوى) .

ابتسم المخلوق ، وهو يقول فى برود :

ـ لماذا ؟.. إنها ستكون أولى تجاربنا على أنثى .

ثم رفع يده ، مطلقًا عبارة بلغته الخشنة الجافة ، فحمل أحد المخلوقات الأخرى شيئًا يشبه قنينة صغيرة ، واتجه إلى حيث ترقد (نشوى) ..

وارتجف جسد (رمزى) فى ذُعر ..

هل سيتركهم يفعلون ذلك بـ (نشوى) ؟..
هل سيتركهم يفعلون ذلك بكوكب الأرض ..
كلّا ..

إنه سيمنعهم ..
سيمنعهم مهما كلّفه الأمر ..

وفى سرعة وحزم ، اتجه بصره إلى إحدى الكُـرَات اللامعة ، التى رأى المخلوقات تطلقها نحو الغوّاصة ، فقفز نحوها والتقطها ، وهو يهتف :

ـــ كلّا .. لن تفعلوا .. لن تفعلوا ..

وفجأة .. كشف أنه لا يعلم كيف يطلقون تلك الكُرَة المصمطة ..

وارتجف جسده مرّة أخرى ، حينما رأى كُرات المخلوقات ترتفع نحوه ..

ارتجف فى قوّة ..

* * *

١٠ ـــ نهاية الجزء الأوّل ..

فجأة .. أدرك (رمزى) كيف يُطلق تلك الكُرَة اللامعة ..

قد تكون مصادفة بحتة ..

أو هو عمل القدر ..

المهم أنه قد أدرك ذلك بغتة ..

لقد لاحظ فى غمرة توتُّره ، دائرتين باهتتين ، على جانبى الكُرَة ، التى يُمسك بها ، وثقب دقيق بينهما ، فاحتوى الكُرَة فى راحته فى سرعة ، وضغط الدائرتين على جانبيها بسبّابته وإبهامه ، فانطلق خيط من أشعة زرقاء من ذلك الثقب بينهما ، أصاب ذلك المخلوق ، الذى يتقدَّم نحو (نشوى) ، فى صدره ، فدفعه إلى الوراء ، وأسقطه جثة هامدة ..

وهنا سرَت موجة من الغضب بين المخلوقات الأخرى ، وانطلقت خيوط أسلحتهم الزرقاء نحو (رمزى) ، الذى مال جانبًا ، وقفز متفاديًا خيوط الأشعة العديدة ، وبدا له الأمر أشبه بالحلم .. أو بالكابوس ، وهو يطلق أشعة كُرتـه نحو صدورهم وأجسادهم ..

ثم اخترق خيط من الأشعة ساعده ..

صرخ متألمًا ، وحاول أن يواصل القتال ، إلَّا أنَّ خيطًا آخر من الأشعة أصاب ساقه ، فتهاوَى صارخًا ، ورأى الكُرَات تتجه إليه ، فصرخ فى مرارة :

ـــ فلتذهبوا جميعًا إلى الجحيم .. سأموت راضيًا من أجل كوكب الأرض .

وبدا واضحًا أنها النهاية ..

* * *

لأوَّل مرَّة منذ قدومه ، عجز الدكتور (محمد حجازى) عن الاحتفاظ بذلك القناع الهادئ على وجهه ، وهو يتطلَّع إلى ساعته ، مغمغمًا فى توتُّر :

ـــ كم يستغرق إعداد تلك الغوَّاصة ؟.. إننا ننتظرها منذ ساعتين !

أجابه القبطان فى هدوء :

ـــ اهدأ يا دكتور (حجازى) .. سيستغرق إعداد تلك الغوَّاصة وقتًا أطول من سابقتيها .

هتف به الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

ـــ لماذا ؟

أجابه القبطان فى حزم :

ـــ لأننى قرَّرت أن أتحاشى كل ماحدث للغـواصتين السابقتين .. إن الدلائل كلها تشير إلى أن الشيء الذى هاجم الغواصتين ، قد اعتمد على عدم وجود آلات تصوير على سطحها ؛ لذا فقد كان يتسلَّل إلى السطح ، ويفصل كابلات آلات التصوير أوَّلًا .. ولهذا أمرت بإضافة آلات تصوير على السطح أيضًا ، كما أمرت بتغطية جدران الغوَّاصة الخارجية بالمرايا .

سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـــ ولماذا ؟

ابتسم القبطان ، وهو يقول .

ـــ حتى تعكس تلك الأشـعة ، التى يستخدمونها لشقِّ الجدران .. هكذا قال خبير الأشعة التابع لكم .

ثم تنهَّد ، قبل أن يردف :

ـــ إننى أحاول أن أزيد من فرص نجاحنا .. وهذا أفضل .

* * *

كانت تقوب كل الكُـرَات اللامعــة مصوَّبــة نحو (رمزى) ..

وكان هو يستعدُّ حقًّا للموت ..

وفجأة .. اعترض ذلك المخلوق ، الذى يتحدَّث العربية ، الطريق ، وحال بينه وبين طلقات الأشعة الزرقاء القاتلة ، وهو يهتف برفاقه ، مستخدمًا لغتهم الخشنة الجافة ، ثم استدار إلى (رمزى) ، قائلًا بالعربية :

ــ لن يقتلوك أيها الأرضىّ .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يرفع كُرته نحوه ، قائلًا فى حِدَّة :

ــ قد أقتلهم أنا .

هزَّ المخلوق رأسه نفيًا ، وقال :

ــ سيكون من المؤسف أن تحاول .

ثم أشار إلى جسد (محمود) ، المتصل بعشرات الأنابيب الشفَّافة الدقيقة ، والذى يسبح فى أعماق الحوض الضخم ، وأضاف :

ــ ستكون حياة زميلك هى الثمن .. آنذاك .

هتف (رمزى) فى حَنَق :

ــ وستكون حياة الأرض كلها هى الثمن ، لو لم أحاول .

ابتسم المخلوق ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لن تفيد محاولتك .

وفجأة .. تألَّقت الكُرَة اللامعة بين أصابع (رمزى) ، وانبعث منها حرارة هائلة ، جعلته يلقيها بعيدًا ، وهو يصرخ فى ألم ، وأدهشه أن رآها تتحوَّل إلى كُومَة من الرماد ، قبل أن تسقط أرضًا ، فهتف فى دهشة :

ــ كيف فعلت هذا ؟

ابتسم المخلوق ، وهو يقول فى هدوء :

ــ إننى لم أفعل شيئًا .. رجال الأمن الآليُّون فعلوا .

لم يفهم (رمزى) معنى العبارة فى البداية ، ثم لم يلبث أن فهمه تمامًا ، حينما فوجئ بذراعين معدنيين يطوِّقان وسطه من الخلف ، ورأى المخلوق يبتسم فى ثقة وشماتة ، وهو يردف :

ــ لم يستدعهم أحد بالطبع .. نشوب القتال بيننا هو الذى أتى بهم .

شعر (رمزى) برغبة قويَّة فى البكاء ، وهو يجد نفسه عاجزًا على هذا النحو ، بين ذراعى رجل الأمن الآلىّ الفولاذيتين ، فغمغم فى مرارة :

ــ لماذا طلبت من رفاقك ألا يقتلونى ؟

ابتسم المخلوق ، وهو يقول :

ــ إن لى أسبابى .

ثم أشار إلى أحد زملائه ، وألقى عبارة بلغته الخشنة الجافة ، قبل أن يلتفت إلى (رمزى) ، قائلًا :


شعر (رمزى) برغبة قويّة فى البكاء ، وهو يجد نفسه عاجزًا على هذا النحو ، بين ذراعى رجل الأمن الآلىّ الفولاذيتين ..

ـ لن يمكننا الانتظار هنا طويلًا ، فلابدَّ لنا من الغوص قليلًا فى الأعماق ، لاستعادة نشاطنا .. وقبل أن نتركك ، ستشاهد بنفسك أثر عقّارنا .

اتسعت عينا (رمزى) فى رُعْب ، حينما رأى أحد هذه المخلوقات يتجه نحو (نشوى) ، ويفتح شفتيها الصغيرتين ، ثم يضع بينهما نقطة واحدة من العقّار ..

وفجأة .. فتحت (نشوى) عينيها ، وبدا وكأنها تتألّم فى شدة ، قبل أن تهتف :

ـ أبى .. أمى ..

ثم أطلقت صرخة مدوِّية ..

صرخة إنسان يحتضر ..

* * *

تعالَى وقع أقدام الطبيب المعالج لـ(نور) و (سلوى) ، وهو يعْدُو عَبْرَ رواق المستشفى الطويل ، والانفعال يملأ كل خلجة من خلجاته ، قبل أن يقتحم حجرة كبير الأطباء ، الذى يجتمع بطاقم الأطباء ، ويهتف بصوت لاهث :

ـ سيِّدى .. تطوُّر خطير يا سيِّدى .. بالغ الخطورة .

استدار إليه طاقم الأطباء فى قلق ، وهتف به كبير الأطباء فى لهفة :

ـ هل عادت إليهما الظاهرة على نحو أقوى ؟

أومأ الطبيب الشاب برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى انفعال قوىّ :

ــ نعم يا سيِّدى .. لقد حدث ذلك فى البداية ، ثم.....

لهث لحظة من شدة الانفعال ، فصاح به كبير الأطباء ، فى لهجة مَنْ لم يطق صبرًا :

ــ ثم ماذا ؟

اتسعت عينا الطبيب الشاب ، وهو يهتف :

ــ لقد استيقظا يا سيِّدي .. لقد استعاد الرائد (نور) وزوجته وعيهما ..

نعم ..

لقد استيقظا ..

لقد أيقظتهما صرخة ..

صرخة سمعها قلباهما ، من عمق كيلومترين ، تحت سطح المحيط الأطلنطى ..

وبدأت جولة جديدة ..

جولة بين سادة المخابرات العلمية .. وسادة الأعماق ..

* * *

[انتهى الجزء الأوَّل]

[ويليه الجزء الثانى (المحيط الملتهب)]

روايات مصرية للجيب



ملف المستقبل

سري جدا !!

٦٣

المحيط الملتهب

ملف المستقبل ● المحيط الملتهب ● ٦٣ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

المحيط الملتهب

- هل يعود (نور) و (سلوى) إلى عالم الواقع حقًا ؟!
- كيف يواجه أهل الأرض غزو سادة الأعماق ؟!
- ما مصير (نشوى) ؟ وما مصير الأرض .. فى معركة (المحيط الملتهب) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وشارك فريقنا فى الأحداث ..

٦٣



قرش جنيه
٢,٠٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : السيف البلّورى


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

١ ــ العَوْدة ..

مضى عام كامل ، منذ سقط (نور) و (سلوى) فى غيبوبتهما العميقة ، التى انتزعتهما من مجرى الزمن والأحداث ، إثر عودتهما من بعد آخر ، فى مغامرتهما الأخيرة(*) .

كان الزمن بالنسبة إليهما ثابتًا جامدًا ، ولكنه لم يكن كذلك خارجهما ..

كان يزخر بالمواقف والأحداث ..

كانت ابنتهما (نشوى) قد بلغت الحادية عشرة من عمرها ، وهى تصحب زميلهما (رمزى) ، الذى تعهَّدها برعايته ، إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فى رحلة بحرية ، على متن حوَّامة جوبَرّمائية (هوفركرافت) ، عَبْر المحيط الأطلنطى ، حينما اشتعلت الأحداث ..

أعلن قُبْطان (الهوفركرافت) عن برنامج جديد ، ألا وهو

(*) راجع قصة (أرض العمالقة) .. المغامرة رقم (٦٠)

الغوص إلى عمق كيلومترين ، فى قرار الأطلنطى ، داخل غوَّاصة تجريبية جديدة ، أطلقت شركته عليها اسم (ق ــ ١) ..

وتقرَّر أن يفتتح الرحلة الأولى ثلاثة أطفال ..

(نشوى) .. ابنة (نور) و (سلوى) وطفلان آخران ..

(طارق) و (هشام) ..

وعلى الرغم من قلق (رمزى) وتوتُّره ، إلَّا أنه لم يشأ أن يحرم الصغيرة متعتها ، فوافق على غوصها مع الصَّبيَّين إلى الأعماق ..

وهبط الصِّبية الثلاثة إلى الأعماق ..

وسجَّلت الأجهزة المتصلة بجسدى (نور) و (سلوى) اضطرابًا واضحًا ..

لقد تلقَّى عقلاهما رسالة خطر من ابنتهما ، وهما غارقان فى غيبوبتهما ..

وكانا على حقّ ..

لقد تعرَّضت الغوَّاصة لحادث غامض ، واختفى الصِّبية الثلاثة من داخلها ، بعد أن شقَّت قوَّة مجهولة جدارها ، كما لو كانت سكينًا حادًّا ، يشقُّ قالبًا من الزُّبد الطازج ..

وانضمَّ (محمود) إلى رفيقه (رمزى) ، للبحث عن (نشوى) ، فى أعمق أعماق الأطلنطى ..

وهبط الاثنان داخل الغوَّاصة الثانية ، (ق ــ ٢) ، إلى الأعماق ..

وحدثت المفاجأة ..

لقد هاجمها سادة الأعماق ..

مخلوقات برّمائية ، ذات وجوه بشريَّة خضراء ، تغطيها حراشيف لامعة ، بلا أنوف ، وبأفواه رفيعة رقيقة ، وعيون مضيئة مُصْمَتَة ..

واختفى (رمزى) و (محمود) بدوْرهما ..

ومرَّة أخرى ، سجَّلت الأجهزة المتَّصلة بجسدىْ : (نور) و (سلوى) اضطرابًا ..

وانطلق الدكتور (حجازى) لنجدة رفيقيه ..

وبدأ الإعداد لرحلة الغوَّاصة الثالثة .. (ق ــ ٣) ..

وفى أعماق المحيط عرف (رمزى) الحقيقة ..

عرفها ، وهو يتطلَّع إلى رفيقه (محمود) ، الذى يسبح فى قرار حوض مائىّ ضخم ، وجسده يتصل بعشرات الأنابيب والأسطوانات الشفَّافة الدقيقة ..

عرف أن سادة الأعماق هم مخلوقات من كوكب آخر ..

كوكب مائىّ ..

مخلوقات جاءت لاستكشاف كوكب الأرض ، وإعداده لاستقبال شعبهم ، الذى يتعرَّض لخطر الهلاك ، بعد أن اقتربت شمس كوكبهم منه ، وراحت تبخّر الماء ، الذى يعتمدون عليه للحياة ..

وحينما أنهَوْا رحلة استكشافهم ، وأرادوا العَوْدَة ، منعتهم تلك السفينة الإمبراطورية الأرغورانية ، التى يقودها (س ١٨) ، فى مدار حول كوكب الأرض ، لمنع الحروب والغزوات(*) ..

وأصبح من المحتّم بالنسبة إليهم أن يقوا ..

وأن يفنوا سكّان كوكب الأرض ..

وكانت خُطتهم لإفناء كوكب الأرض رهيبة مخيفة ..

كانت خُطَّة كيميائية ، تعتمد على نشر عقّار خاصّ على كوكب الأرض ..

عقّار نُمو ..

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

ولقد شاهد (رمزى) نتائج هذا العقّار ..

شاهد (طارق) .. أحد الصبيّين اللّذيْن صحبا (نشوى) ، وقد تحوَّل إلى عجوز مُتغضّن ، بعد أن تعرَّض للعقّار ..

وأدرك (رمزى) فَداحة الأمر ..

وأمام عينيه حاول سادة الأعماق إعطاء (نشوى) العقّار ..

وانفجر (رمزى) ..

انفجر كبركان ثائر هادر ؛ لإنقاذ (نشوى) ، وحماية كوكب الأرض ..

وهُزِمَ (رمزى) ..

دحره سادة الأعماق بقوّتهم ، وتكنولوجيّتهم المتطوّرة ..

وارتجف قلبه فى لَوْعة وألَم ومرارة ، حينما رآهم يسقطون قطرة من عقّار النمو ، بين شفتى (نشوى) ..

وصرخت (نشوى) ..

هتفت تنادى أباها وأمها ، ثم أطلقت صرخة ألم مدوِّية ..

وهذه المرَّة سجّلت الأجهزة المتصلة بجسدى (نور) و (سلوى) اضطرابًا هائلًا ..

وبعد عام ..

عام كامل ..

وبفضل صرخة من بين شفتى ابنتهما ، من عمق كيلومترين ، فى قاع الأطلنطى ..

عاد (نور) و (سلوى) إلى وعيهما ..

عادا لبدء مرحلة جديدة من الصِّراع ..

عادا لينطلقا إلى المحيط الملتهب(*) ..

* * *



(*) لمزيد من الأحداث والتفاصيل ، راجع الجزء الأوَّل (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

٢ ـ جَوْلة جديدة ..

هتف كبير أطباء مستشفى (القاهرة) المركزى ، وهو يندفع فى خطوات أقرب إلى العَدْوِ ، عَبْرَ الرواق الذى يقود إلى حجرة العناية المركَّزة بالمستشفى :

ـ أأنت واثق ؟.. هل استيقظا حقًّا ؟!.. هل استعادا وعيهما ؟!

لهث الطبيب المعالج الشاب ، من فرْط الانفعال ، وهو يسير إلى جوار كبير الأطباء ، هاتفًا :

ـ لم أكُنْ لأخبرك ، لو لم أكن واثقًا تمامَ الثقة يا سيِّدى .. لقد سجَّلت أجهزة مراقبة إشارات المخ ارتفاعًا ملحوظًا فى البداية ، إلَّا أننى تصوَّرت أنَّ ذلك مجرَّد عودة إلى تلك الظاهرة ، التى تكرَّرت أكثر من مرَّة ، منذ الصباح ، ولكننى فوجئت بكل الأجهزة ، المتصلة بالمراكز الحيَوِيَّة ، تنشط فجأة ، وتعلن عن عودتها للعمل فى كفاءة ، ثم سمعت السيِّدة تتأوَّه ، وفتح الرائد عينيه ، وتطلَّع إلىَّ فى وَهَن ، وهو يغمغم بكلمات غير مفهومة .. لقد استعادا وعيهما .

بالفعل يا سيِّدى ..

عاد كبير الأطباء يهتف فى ذهول :

ــ يا لها من معجزة !!.. يا لها من معجزة !!

توقَّف بغتة ، واتسعت عيناه فى انبهار ، وهو يحدِّق فى جسد (نور) ، الذى جلس على طرف فراشه ، وراحَ يتحسَّسَ الأسلاك والأنابيب الدقيقة المتصلة بجسده فى حَيْرة ، على حين تطلَّعت إليه (سلوى) بعينين ذابلتين ، وهى ترقد على فراشها ساكنة ..

وأسرع كبير الأطباء نحو (نور) ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ حمدًا لله .. حمدًا لله على استعادتكما وعيكما أيُّها الرائد .. إنها حقًّا لمعجزة !!..

أدار (نور) عينيه إليه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ ماذا حدث ؟.. أين نحن ؟

أجابه كبير الأطباء ، وهو يفحصه فى اهتمام :

ــ إنكما هنا منذ عام كامل .. لقد فقدتما وعيكما ، إثر عودتكما من عالم عجيب ، أو شىء من هذا القبيل ، واستيقاظكما معًا ، دون مبرِّر واضح ، وفى وقت واحد ، هو فى حد ذاته لُغز من ألغاز هذا العالم .

غمغم (نور) فى دهشة :

ــ عام كامل ؟!

على حين تمتمت (سلوى) فى ضعف ولهفة :

ــ نشوى .. أين ابنتنا (نشوى) ؟!

أجابها كبير الأطباء فى انفعال :

ــ رُوَيْدكِ يا سيِّدتى .. لست أريد أيَّة انفعالات .. لا داعى حتى للحديث ، سيكون كل شىء على ما يرام بإذن الله ، المهم أنكما قد استعدتما وعيكما ، وهذا هو المهم .. حمدًا لله على سلامتكما .. حمدًا لله ..

وضع (نور) يده على كتف كبير الأطباء ، وهو يقول فى قلق واضح :

ــ سيِّدى .. قد يبدو لك حديثى عجيبًا ، منافيًا للمنطق والعقل ، ولكننى رأيت فى غيبوبتى حلمًا عجيبًا مقلقًا ، يتعلَّق بابنتنا (نشوى) ؛ لذا تجدنى أصرّ على الاطمئنان عليها أوَّلا .

حدَّق كبير الأطباء فى وجهه فى حَيْرة ، وغمغم :

ــ حلم فى غيبوبة ؟!.. عجبًا !!.

ثم لم يلبث أن استدرك فى اهتمام :

ـ حسنًا .. كيف يمكنني معاونتكما على تحقيق رغبتكما ، بشأن الاطمئنان على ابنتكما ؟ صمت (نور) لحظة ، وكأنما اختلطت الأفكار في رأسه ، من طول استسلامه لغيبوبته ، ثم قال في بطء ، وهو يضغط كل حرف من حروف كلماته :

ـ اتصل بالمخابرات يا سيِّدى .. بالمخابرات العلمية المصرية ..

★ ★ ★

انتهى إعداد الغوَّاصة التجريبية (ق ـ ٣) ، تمامًا ، وباتت مستعدة للغوْص إلى عمق كيلومترين ، في قرار المحيط الأطلنطى ، واتجه إليها الدكتور (محمد حجازى) وقُبْطان (الهوفركرافت) ، الذى غمغم فى توتُّر :

ـ أراهنك أنهم سيمنحون اسمينا قلادتى الحماقة ، من الدرجة الأولى ، وسيقيمون لنا نُصبًا تذكاريًا عائمًا ، تخليدًا لانتحاريَّتنا وسخافتنا .

قال الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ـ يمكنك التراجع .. الوقت لم يفت بعد .

عقد القُبْطان حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ من ذا الذى يفكِّر فى التراجع .. مادمنا قد بدأنا تلك الحماقة ، فلا تراجع عنها أبدًا .

كانا يعتزمان ولوج الغوَّاصة الصغيرة ، حينما هتف أحد البحَّارة .

ـ لحظة يا دكتور (حجازى) .. هناك برقية عاجلة لك .

غمغم الدكتور (حجازى) فى قلق :

ـ برقية عاجلة ؟!

ثم التفت إلى القُبْطان ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ فليكن .. أعدّ العدَّة للغوْص ، وسأعود إليك بعد لحظات .

تابعه القبطان ببصره ، وهو يتَّجه نحو كابينة الاتصال ، ثم غمغم فى سخط :

ـ يا لحماقتى !!.. كيف وافقت على أن أصحبه فى تلك الرحلة ؟.. إنها تذكرة بلا عودة بالتأكيد .

وزفر فى عمق ، ثم دلف إلى الغوَّاصة ، وراح يعِدّ آلاتها وأجهزتها ، استعدادًا لرحلة الغوص ، المحفوفة بالمخاطر والغموض ، واستغرقه ذلك بعض الوقت ، حتى أنه لم يشعر إلَّا وصوت الدكتور (حجازى) يعلُو إلى جواره ، قائلًا :



ثم التفت إلى القُبطان ، مستطردًا فى اهتمام :

ـــ فليكن .. أعدّ العدّة للغوص ، وسأعود إليك بعد لحظات ..

ـــ انتظر يا صديقى .. لن تبدأ الرحلة الآن .

التفت إليه القُبطان ، وهو يهتف فى لهفة :

ـــ هل قرّرت إلغاء الرحلة ؟

أدهشه تهلُّل أسارير الدكتور (حجازى) ، واختلاجة صوته ، وهو يجيب فى حماس :

ـــ بل تقرّر تأجيلها فحسب ، فلقد حدثت المعجزة ، واستعاد والدىْ (نشوى) وعيهما ، وسينضمّان إلى حملتنا الثالثة .

اتسعت عينا القُبطان ، وهو يهتف :

ـــ استعادا وعيهما ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سعادة وحماس :

ـــ نعم يا صديقى .. لقد انضمّا إلى المعركة ، وعلى المحيط أن يرتجف ، فقد جاءه من يقهره .

* * *

هتف كبير أطباء مستشفى (القاهرة) المركزىّ فى حَنَق ، وهو يتطلّع إلى (نور) و (سلوى) ، اللّذَين ارتديا ثيابهما ، واستعدّا للرحيل ، على الرغم من شحوبهما وضعفهما الواضحين :

ـ خطأ .. ما تفعلانه يُعَدُّ من أسخف ما رأيت فى حياتى كلها ، فلقد استعدتما وعيكما منذ لحظات ، بعد عام كامل فى غيبوبة عميقة ، ومن الطبيعىّ أن تشعر عضلاتكما بوَهَن رَهيب ، تخاذُل شديد ، حتى أننى أتساءل فى حَيْرة : كيف أمكنكما الوقوف على أقدامكما هكذا ؟! .. ثم إنكما تحتاجان إلى رعاية طبِّية كاملة ، وتغذية جيِّدة ، لمدة شهر كامل على الأقل ، ومن المستحيل أن أسمح لكما بالانصراف الآن .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ من حقِّك أن ترفض ، ومن حقِّك أيضًا أن تعتبرنا هاربَيْن ، وتبلِّغ عنَّا جهاز الأمن ، ولكننا لن نتراجع يا سيِّدى .. مَعْذِرةً .

هتف كبير الأطباء فى سخط :

ـ هذا يتنافى مع أبسط قواعد المنطق والعقل .

أجابته (سلوى) فى حِدَّة :

ـ اسمع يا سيِّدى الطبيب .. لقد استعدنا وعينا لهدف محدود ، لا يعلمه إلَّا الله (سبحانه وتعالى) .. ولقد استيقظنا لنجد أن ابنتنا قد اختفت فى أعماق المحيط الأطلنطى ، وتبعها رفيقانا ، وآخر صديق لنا فى هذا العالم يستعدُّ للَّحاق بهم ..

وإذا كان الجميع يبذلون أرواحهم من أجل ابنتنا ، فنحن الأجدر ببذل روحينا من أجلها .. ولقد وافقنا القائد الأعلى للمخابرات العلمية على ذلك ، وهناك طوَّافة تنتظرنا فى ساحة المستشفى ، لتقلّنا على الفور إلى وسط المحيط ، ولن نتراجع مهما كانت الأسباب .. هل يمكنك استيعاب الأمر الآن ؟

استمع إليهما كبير الأطباء متسع العينين فى دهشة ، ثم لم يلبث أن أَوْمَأ برأسه إيجابًا ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. يمكننى ذلك .

صافحه (نور) فى قوَّة ، لا تتناسب مع شحوبه الواضح ، وهو يقول :

ـ شكرًا لك ولمستشفاك ، لرعايتكم لنا طيلة عام كامل يا سيِّدى ، وأتعشَّم أن نلتقِىَ مرَّة أخرى ، فى هذا العالم .

غمغم كبير الأطباء :

ـ صدِّقنى .. إنَّنى أتمنَّى ذلك .

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، واتجه مع (سلوى) إلى الطوَّافة .

وبدأت رحلتهما نحو المحيط ..

وبدأت جولة جديدة ..

* * *

٣ ـ الأعمـاق ..

صافح الدكتور (حجازى) و (نور) و (سلوى) فى حرارة ، وترقرقت فى عينيه دموع الفرح ، وهو يقول فى انفعال :

ـ حمدًا لله على استعادتكما وعيكما ياولدىَّ .. رُبَّ ضارَّة نافعة .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ المهمُّ أن يكون لعودتنا هدف أو فائدة يا سيِّدى .. المهمُّ هو أن يفيد ذلك ابنتنا ورفيقينا (رمزى) و (محمود) .

قال الدكتور (حجازى) فى حماس :

ـ إيمانى بالله (سبحانه وتعالى) يجعلنى أجـزم بأن استعادتكما وعيكما ، فى هذا التوقيت ، لم يكن لهدف آخر ياولدىَّ ..

أشارت (سلوى) إلى الغوَّاصة الصغيرة (ق ـ ٣) ، وقالت :

ـ هل سنهبط بواسطة هذه ؟

أجابها القُبُطان :

ـ نعم يا سيِّدتى .. إنها نفس الأُنمُوذَج ، الذى استخدمته ابنتكما فى الغَوْص ، ولكننى أجريْت به بضع تعديلات ، فهو هذه المرَّة ـ مزوَّد بآلات تصوير عُلْوِيَة ، وجدران عاكسة للإشعاع و .....

قاطعته (سلوى) فى حزن :

ـ هيَّا بنا إذن .

عقد القُبُطان حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول :

ـ لا تنسَىْ يا سيِّدتى أننى القُبُطان هُنَا .

غمغمت فى ضَجَر :

ـ سأحاول .. والآن متى نبدأ رحلتنا ؟

ازداد انعقاد حاجبيه ضيقًا ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ على الفَوْر .. سنقتحم الأعماق معًا .

ثم زفر فى قوَّة ، وهو يستطرد فى خُفوت :

ـ والله (سبحانه وتعالى) وحْدَه يعلم ، ما إذا كنَّا سنعود ، أم سنتجه مباشرة إلى .. إلى الجَنَّة .

* * *

بدا مشهد الأعماق مهيبًا ، حينما وصلت الغوَّاصة إلى عمق كيلومترين ، على الرغم من الأضواء المُبْهِرة ، التى أطلقتها

مصابيحها ، والتى خفّفت كثيرًا فى ظُلمة الأعماق الدّامسة ، وإن لم تخف تألّق تلك الكائنات الدقيقة المضيئة فى الأعماق ، وبدا السُّكون والهدوء غالبين تمامًا ، مما زاد من رَهبة الموقف ، ودفع الدكتور (حجازى) إلى أن يغمغم فى خُفوت :

ــ يا إلٰهى !!.. كم يبدو المشهد مهيبًا مخيفًا !!

قال (نور) فى صرامة :

ــ لا تجعل هذا يخدعك يا دكتور (حجازى) ، فهذا المشهد يخفى خلفه شيئًا رهيبًا ، انتزع منّا ابنتنا ورفيقينا بلا رحمة .

غمغم القُبُطان :

ــ من العسير أن يصدّق المرء ذلك .

لم يكد يتمّ عبارته حتى ارتجّت الغوّاصة فى قوّة ، وارتجّ الأربعة داخلها ، واصطدم بعضهم ببعض ، وهتف القُبُطان فى ارتياع :

ــ ماذا يحدث ؟.. أهو إعصار مائىّ ؟

أشار (نور) إلى شاشة صغيرة ، وهو يقول فى حزم :

ــ بل هجوم بحرىّ يا سيّدى .

ــ التصقت عيون الجميع بذلك المشهد على الشاشة ، الذى ينقل صورة بعض المخلوقات المائية ، ذات الوجوه الخضراء ، التى تغطيها الحراشيف اللامعة ، وتبرز منها العيون المضيئة ، وهم يحطّمون آلات التصوير على سطح الغوّاصة ، وهتف (نور) :

ــ إلى المعركة يا رفاق .. سنطلق عليهم أشعة اللّيزر .. سنقاتلهم بكل ما نملك من قُوى .

أعقب هتافه بتوجيه مِدْفَع اللّيزر الدّفاعىّ ، نحو أحد هذه المخلوقات ، وضغط زِرَّ الإطلاق ، فشق خيط الأشعة الأعماق ، وأصاب كتف المخلوق ، فاندفع إلى الخلف ، وتقلّب بضع مرّات ، واختفى خارج دائرة الضوء ، على حين شهرت المخلوقات الأخرى أسلحتها ، التى تبدو على هيئة كُرات مستديرة لامعة ، وراحت تطلق منها أشعة مخيفة ، لم تكد ترتطم بجدران الغوّاصة المصقولة حتى انعكست فى قوّة ، فهتف القُبُطان فى حماس :

ــ لقد أفلحت الوسيلة .. لقد تغلّبت على سلاحهم بأبسط وسائل الدفاع الممكنة .. لقد أعدْت سلاحهم إليهم ، مع تحيّاتى ..

هتف (نور) فى حماس :

ـ هذا يمنحنا نقطة تفوُّق أيُّها القُبْطان ، ويعاوننا على أن ......

قبل أن يتمَّ عبارته ، ارتجَّت الغوَّاصة مرَّة أخرى فى قوَّة ، وتأرجحت لحظة ، ثم خفقت قلوب الجميع ، حينما راح مؤشر العمق يقفز فى جنون ، وأضاء فى سقف الغوَّاصة مصباح أحمر ، أخذ يضىء بضوء متقطِّع ، مصحوبًا بأزيز قوىّ ، شحب له وجه القُبْطان ، وهو يهتف :

ـ يا إلٰهى !!.. إن الغوَّاصة تهبط فى سرعة .. إننا نتجاوز العمق المسموح به ، ولن تحتمل جدران الغوَّاصة ذلك .

غمغمت (سلوى) فى ارتياع ، وقد تضاعف شحوبها ، حتى صار وجهها أشبه بوجوه الموتى :

ـ ربَّاه !!.. لقد فصلوا الكابل ، الذى يُوصلنا بـ(الهوفركرافت) ، وهذا يَعْنِى أن تواصل الغوَّاصة هبوطها ، حتى قرار المحيط .

اختنق صوت القبطان فى حلقة ، وبدا جافًّا متحشرجًا ، وهو يغمغم :

ـ إن قرار المحيط ، فى هذه المنطقة بالذات ، على عمق سبعة كيلومترات من سطح المحيط ، ولو وصلت هذه الغوَّاصة إلى عمق ثلاثة كيلومترات ، فإنها .. فإنها .....

عجز تمامًا عن نطق باقى العبارة ، فأضاف (نور) فى شحوب :

ـ فإنها ستُسْحَق تمامًا .. وهذا ينطبق على أجسادنا أيضًا ..

* * *

ارتسمت ابتسامة ظفر ، على شفتى المخلوق البحرىّ الرفيعتين ، وهو يتابع ذلك المشهد على شاشة راصدٍ خاصّ ، وقال لـ (رمزى) ، الذى يجلس إلى جواره منهارًا :

ـ أرأيت كم يصعب التغلُّب علينا فى الأعماق ؟.. لقد تصوَّر رفاقك أنهم سيهزموننا ، لمجرَّد أنهم قد صنعوا جدران غوَّاصتهم الجديدة من مادة عاكسة مصقولة ، فلنَرَ ماذا يفعلون مع هبوطهم إلى ذلك العمق ؟

خفق قلب (رمزى) فى عنف ، واختلس نظرة مشفقة إلى حيث يرقد جسد (نشوى) ، وترقرقت فى عينيه دمعة حزينة على ما أصابها ، بعد أن سرَى فى جسدها مفعول عقَّار النُّموّ ، وقال فى حِدَّة :

— إنكم بلا قلب .

هزَّ المخلوق البحرىّ كتفيه بلامبالاة ، وهو يقول :

— فليكن .. احتفظوا أنتم بالقلوب ، واتركوا لنا كوكبكم .

هتف (رمزى) فى حنق :

— أىّ منطق استعمارىّ هذا ؟.. إنه كوكبنا ، ونحن أصحاب الحقّ فى العيش على سطحه ، لا أنتم .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على شفتى المخلوق الرفيعتين ، وهو يقول :

— لا حقَّ بلا قوّة أيُّها الأرضى .. إن شعبنا معرَّض للفناء ، وأرضكم هى أمله الوحيد فى البقاء .. ووجود شعبك يَعْنِى فناء شعبى ، فكيف تتصوَّر اختيارى ؟

صاح (رمزى) فى مرارة :

— ألا يوجد فى الكون كله كوكب مائىّ ، سوى كوكبنا ؟

أجابه المخلوق فى برود :

— بل هناك العشرات والمئات ، وكلها مأهولة بالسكّان ، فكما يعلم كلانا ، تقول القاعدة العلمية : « حيثما

وُجِد الماء ، وُجدتِ الحياة »(*) .. ولكن كوكبكم هو أقربهم إلينا ، ولا تنسَ أن شعْبَنا سيقطع سنوات ضوئية عديدة ، ليصل إلى هنا ، ولن نجشِّمه أضعاف هذه المشاق ، بإرساله إلى كوكب مائى آخر ، فى مجرَّة أخرى .

ثم أشار إلى الشاشة ، مستطردًا فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

— انظر .. إنها نهاية رفاقك ، وإعلان قوتنا وانتصارنا .

اتسعت عينا (رمزى) فى ذُعر ، وهو يتطلَّع على الشاشة ؛ فأمامه كانت جدران الغوّاصة (ق ــ ٣) تتشقق على عمق ثلاثة كيلومترات ، وكانت أجساد رفاقه تستعد للانسحاق سحقًا فى الأعماق ..

* * *



(*) قاعدة علمية صحيحة .



التصقت (سلوى) بجدران الغوَّاصة المتشقِّقة ، وهى تهتف فى ارتياع :
ــ ياإلهى !!.. إنها نهايتنا .. ونهاية (نشوى) ..

٤ ــ المواجهــة ..

التصقت (سلوى) بجدران الغوَّاصة المتشقِّقة ، وهى تهتف فى ارتياع :

ــ ياإلهى !!.. إنها نهايتنا .. ونهاية (نشوى) .

هتف القُبُطان فى توتُّر بالغ :

ــ من يدرى ؟.. ربَّما كنَّا نعانى نفس المصير الذى أصابها .

صاحت (سلوى) فى لَوْعة :

ــ كلَّا .. لا تقُل ذلك .. لا تقُل ذلك .

صرخ القُبُطان فى عصبيَّة ، وهو يشير إلى جدران الغوَّاصة ، التى تصدَّعت تقريبًا ، وبدأ الماء يندفع من شقوقها :

ــ وما فائدة أن أصمت أو أتكلَّم .. إننا على عمق ثلاثة كيلومترات ، ولقد انقطع عنَّا رصيد الهواء النقىّ ، وانقطعت صلتنا بكل العالم البرِّىّ .. وما أن تتشقَّق جدران تلك الغوَّاصة اللَّعينة ، وتنهار ، حتى تتعرَّض أجسادنا لضغط هائل ، يساوى

ألف ضغط جوِّىّ[*] دفعة واحدة ، وهذا يَعْنِى أن تُسْحَق أجسادنا سحأكقا ، وتندمج خلايانا اندماجًا ، فيصير من السهل أن يعبُر جسد الواحد منَّا من ثقب الإبرة ، كما تقول الأحجية العلمية الشهيرة .. وسيحدث هذا فى جزء من الثانية ، حتى أننا لن نشعر حتى بالألم .

صرخت (سلوى) ، وهى تخفى أذنيها بكفَّيْها فى انهيار :

ـ كَفَى .. كفَى .

أشار (نور) إلى المياه ، التى راحت تتدفَّق داخل الغوَّاصة فى قوَّة ، وقال فى مرارة :

ـ لا فائدة يا (سلوى) .. إنه على حقّ .. لقد حانت النهاية .

وصمت الجميع ، وتعلَّقت عيونهم فى هَلَع بالمياه المتدفِّقة ، التى تحمل معنى واحدًا ..

الموت ..

* * *

اتسعت عينا (رمزى) فى ذُعْر ، وهو يراقب ما يحدث على شاشة الراصد ، مغمغمًا فى ارتياع :

(*) الضغط الجوى : وزن عمود من الزئبق طوله ٧٦ سم ومساحة قاعدته ١ سم^2 .

ـ أيها الأدغاد !!.. أيَّتها المخلوقات المائيَّة الحقيرة!!.. أما يكفيكم ما فعلتموه بـ (نشوى) ؟.. ألا يكفيكم أن أضعتم سنوات عمرها هباءً ؟

ابتسم المخلوق المائىّ ، الذى يقف إلى جواره فى برود ، وقال :

ـ هذا جزاء كل من يفكِّر فى تحدِّينا .. سأقترب بالراصد ، وأجعلك ترى وجوه هؤلاء ، الذين هزمناهم هذه المرَّة ، قبل أن يسحق الضغط أجسادهم تمامًا .

لم يكد الراصد يقترب من نوافذ الغوَّاصة ، وينقل صورة وجوه من هم داخلها ، حتى اتسعت عينا (رمزى) فى شِدَّة ، وهتف فى ذُهول :

ـ يا إلٰهى !!.. (نور) و (سلوى) ؟!!..

لم يصدِّق عينيه فى البداية ..

لم يصدِّق أن (نور) و (سلوى) قد استعادا وعْيهما ..

لم يصدِّق أنهما قد غادرا غيبوبتهما ، ليستقبلا الموت فى أعماق الأطلنطى ..

أذهله هذا تمامًا لثوانٍ ، ثم هتف فى انفعال :

ـ تبًّا لك أيها المخلوق البحرىّ الأحمق .. إنك تباهى

بانتصار سخيف ، دون أن تدرك أن انتصارك هذا يفقدك نصرًا أعظم .

التفت إليه المخلوق البحرىّ ، وقال فى حِدَّة :

ـــ ماذا تعْنِى ؟

أشار (رمزى) إلى شاشة الراصد ، وهو يهتف فى انفعال :

ـــ هل ترى ذلك الشابّ هناك ؟.. إنه الرائد (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية المصرية .. وهو الشخص الوحيد فى هذا الكون بأسره ، القادر على التحكُّم فى السفينة الإمبراطورية الأرغورانية ، التى يقودها (س ١٨) حول الأرض ، والتى منعتكم من الرحيل ، وستمنع شعبكم من الوصول إلى الأرض لأجيال .. إنك بقتله تفقد الأمل الوحيد فى نجدة شعبك .

تردَّد المخلوق البحرىّ لحظات ، قبل أن يغمغم فى توتُّر :

ـــ أنت كاذب مراوغ .

صاح (رمزى) :

ـــ وأنت غبىٌّ أحمقُ .. ماذا يضيرك لو صدَّقتنى هذه المرَّة ؟

تردَّد المخلوق لحظة أخرى ، ثم قال فى حزم :

ـــ نعم .. ماذا يضيرنا ؟

ثم تناول كرة صغيرة من شاشة الراصد ، وصاح فيها بعدة كلمات ، ذات إيقاع خشن جاف ، قبل أن يعيدها إلى الراصد ، ويستدير إلى (رمزى) ، قائلًا فى صرامة شديدة :

ـــ سننقذ رفاقك ، ولكن حذار أن تكون كاذبًا .

واكتسى صوته بنبرة مخيفة ، وهو يستطرد بصوته الخشن :

ـــ عندئذ ستلقَوْن جميعًا مصيرًا أبشع من الموت .. أبشع منه كثيرًا .

* * *

احتقن وجه الدكتور (حجازى) ، وراح يسعل فى قوَّة ، وهو يتطلَّع إلى المياه المتدفِّقة ، هاتفًا فى صوت متحشرج مختنق :

ـــ إنها النهاية ولاريب .. إن مستوى الأكسوجين ينخفض كثيرًا ، والماء يتدفَّق فى شدَّة .. وداعًا يا رفاق .. لقد حاولنا .. أليس كذلك ؟

هتف القُبُطان فى مرارة وسخط :

ـــ بلَى .. لقد حاولنا وفشلنا .

ثم عقد حاجبيه فى دهشة ، وهو يتطلَّع إلى مؤشِّر العمق ، وهتف :

— عجبًا !!.. إننا نرتفع !

هتف (نور) فى دهشة ، وقد بدأت أنفاسه تضيق ، من نقص الأكسوجين :

— نرتفع ؟!.. لماذا ؟!

كانت مصابيح الغوَّاصة قد انطفأت ، مع انقطاع الكابل الذى يوصِّلها بـ(الهوفركرافت) ، والذى كان يحوى كلَّ الأسلاك والتوصيلات ، وساد الظلام الدامس .. ولكن فجأة ، غمر المكان ضوء مُبهر ، جعل أنظار الجميع تتجه نحو نوافذ الغوَّاصة ، حيث شهقوا فى انبهار ودهشة ، ونَسُوا رُعْبهم وخوفهم ، وحتى نقص الأكسوجين ، أمام أكثر مشاهد حياتهم عجبًا !..

لقد كانت الغواصة الصغيرة تتجه نحو سفينة فضائية عملاقة ، استقرَّت ثابتة وسط المياه العميقة ، وفى جانبها فجوة ضخمة ، تتألَّق بالأضواء ، وتقود إلى ممرٍّ مصقول لامع ..

وفى انسيابية تبعث الرَّهبة فى القلوب ، انزلقت الغوَّاصة الصغيرة داخل الممر اللامع ، الذى تألَّقت الأضواء على جانبيه ، وغمرته المياه تمامًا ، واندفعت عَبْرَه فى خط مستقيم ، وكأنما تقودها قوَّة مجهولة ، حتى انحرفت داخل قاعة جانبية واسعة ، أُغلِقَتْ خلفها تمامًا ، وبدأت المياه تنحسر منها تدريجيًا

فى بطء ، فغمغم (نور) فى دهشة :

— أظن أن مشكلة نقص الأكسوجين ، وزيادة الضغط قد انتهت يا رفاق .

تعلَّق بصر القبطان بمؤشرات الغوَّاصة ، وهو يغمغم :

— هذا صحيح .. إن معدَّل الأكسوجين يرتفع ، ومعدَّل الضغط ينخفض ، ولن تمضِىَ لحظات حتى يصير الأمر كما لو كنا قد صعدنا إلى السطح .

مضت تلك اللحظات فى سرعة ، وخلت القاعة من المياه تمامًا ، وأحاط عدد كبير من تلك المخلوقات بالغوَّاصة ، وتقدَّمهم ذلك المخلوق ، الذى يجيد العربية ، وقال بصوته الخشن الجاف ، عَبْرَ مكبِّرات صوت خاصَّة :

— انتهى الأمر أيها الأرضيون .. غادروا غواصتكم ، واستسْلِمُوا .

سأل الدكتور (حجازى) (نور) فى انفعال :

— هل نستسلم لتلك المخلوقات يا (نور) ؟

مطَّ (نور) شفتيه ، وهو يقول :

— وهل نملك غير ذلك ؟

ثم ضغط الزِّرّ ، الذى يفتح باب الغوَّاصة ، وغادرها فى هدوء ، وتبعته (سلوى) ، ثم الدكتور (حجازى) ،

فالقبطان ، ووقف الجميع فى مواجهة المخلوقات البحريـة ، وقال (نور) فى نبرات قوية :

ـــ أنا الرائد (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية المصرية و ......

قاطعه المخلوق البحرى ، قائلًا فى سخرية :

ـــ وهذه زوجتك (سلوى) ، وهذا هو الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين المصريين ، والآخر هو قبطان (الهوفركرافت) .. إننا نعلم كل هذا .

اتسعت عيـون القبطـان ، والـدكتـور (حجـازى) ، و (سلوى) فى ذهول ، على حين عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ رائع .. إنك تطمئننى كثيرًا ، فإجادتك للغتنا العربية ، ومعرفتك لنا ، يؤكدان أن ابنتنا ورفاقنا على قيد الحياة هنا .. أليس كذلك ؟

أجابه المخلوق فى برود :

ـــ بلَى .

وصمت لحظة ، قبـل أن يستـدرك فى لهجـة أقـرب إلى السخرية :

ـــ إن ثلاثتهم على قيد الحياة ، بصورة أو بأخرى .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله :

ـــ ماذا تعْنى ؟

اختلج قلب (سلوى) فى جزع ، حينما سمعته يجيب :

ـــ إن رفيقكم الأرضى (رمزى) على ما يرام ، كما رأيتموه آخر مرَّة ، ونحن نعالج رفيقكم (محمود) من صدمة عصبيَّة وجسدية تعرَّض لها ، وهو يتماثل للشفاء فى سرعة .. أما عن ابنتكما .....

صمت دفعة واحدة ، فهتفتْ به (سلوى) فى ارتياع :

ـــ ماذا أصاب ابنتنا ؟.. ماذا فعلتم بـ(نشوى) ؟

حمل صوت المخلوق رنة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ إنها على قيد الحياة ، ولكنها لم تعُد كما كانت .. لقد أجرينا عليها إحدى تجاربنا و .....

لم يتمَ المخلوق عبارته ..

لم يتمّها ؛ لأن غضبًا هائلًا تفجَّر فى أعماق (نور) .. غضبًا عاصفًا عنيفًا ..

غضبًا دفعه إلى أن ينتزع مسدَّسه اللّيزرىّ ، ويقفز نحو المخلوق البحرىّ ، فيحيط عنقه بذراعه ، صارخًا :

ـــ فلتدفع الثمن إذن أيها الحقير ..

واندلع الجحيم ، فى أعماق الأطلنطى ..

* * *



ويقفز نحو المخلوق البحرىّ ، فيحيط عنقه بذراعه ، صارخًا :
ــ فلتدفع الثمن إذن أيها الحقير ..

٥ ــ جحيم المحيط ..

من المؤكَّد أن تلك المخلوقات البحرية تمتلك سرعة استجابة جيِّدة ..

ومن المؤكَّد أيضًا أنها لا تمتلك قلبًا ..

فلم يكد (نور) يحيط عنق قائدها بساعده ، حتى شهرت المخلوقات الباقية كُرَاتها اللامعة فى وجه (نور) وانطلقت عشرات من خيوط الأشعة القاتلة نحوه ..

واحتمى (نور) بجسد المخلوق البحرى ، وهو يطلق أشعة مسدَّسه اللِّيزرىّ نحو أحد المخلوقات الأخرى ، إلَّا أنه لم يلبث أن أدرك عدم جدوى مبادرته ، حينما أصابت المخلوقات زميلها بأشعتها ، فأردته قتيلًا فى لامبالاة ، وهى تستهدف القضاء على (نور) ..

وأطلقت (سلوى) صرخة ذُعْر وهَلَع ..

صرخة زوجة تخشى أن تفقد زوجها ، بعد أن فقدت ابنتها ..

ومع صرختها تفجَّرت ينابيع الغضب والعناد فى نفس

(نور) ، فراح يطلق أشعته اللّيزريّة نحو رءوس المخلوقات فى مهارة وإتقان ، وسرعان ما انتزع قبطان (الهوفركرافت) مسدّسه اللّيزرىّ بدوْره ، وهو يهتف :

ــ اثنان أفضل من واحد بالتأكيد .. أليس كذلك ؟

وتراجعت المخلوقات البحرية إزاء المهارة القتالية المرتفعة لبطلينا ، وهتف أحد تلك المخلوقات بعبارة ما ، تحمل لغة قومه ، ذات الإيقاع الخشن الجاف ، فتراجعت كل المخلوقات فى سرعة ، ولم تلبث القاعة أن خلَت من الجميع ، فيما عدا (نور) ورفاقه ، فهتف القبطان فى ظَفَر :

ــ لقد انتصرنا .. لقد أجبرناهم على التراجع .

هتف به (نور) :

ــ لا تجعل ظواهر الأمور تخدعك يا سيِّدى القبطان ، فهذا التراجع قد يَعْنِى مزيدًا من الخطورة ، ولو صَدَق ما أظنه ، فينبغى أن نسرع جميعًا بالعودة إلى غوّاصتنا .

سأله الدكتور (حجازى) فى توتُّر ، وهم يسرعون جميعًا نحو الغوّاصة :

ــ ماذا تظنّهم سيفعلون ؟

أجابه (نور) فى قلق :

ــ لو أننى فى مكانهم ، فمن الطبيعى أن استغلّ ما أتميّز به ، ألا وهو قدرتى على تحمُّل الضغط والبقاء فى الماء .

هتفت (سلوى) فى ذُعْر :

ــ يا إلٰهى !!.. هل تظنهم ......؟

قبل أن تُتِمّ عبارتها ، جاءها الجواب على هيئة فيض من الماء ، تدفَّق داخل القاعة ، من الحوافّ السفلى لجدرانها ، فاتسعت عيناها فى ذُعْر ، وهتف القبطان :

ــ يا إلٰهى !!.. إن هذا يُعيدنا إلى بدايات الأمور .

صاح (نور) ، وهو يدفع (سلوى) داخل الغوّاصة :

ــ وإلى صراعنا من أجل البقاء .

دلف الأربعة داخل الغوّاصة ، وأحكموا إغلاقها خلفهم بقدر الإمكان ، ووقفوا يراقبون ارتفاع منسوب الماء داخل القاعة ، عَبْرَ نوافذ الغوّاصة ، وغمغمت (سلوى) فى توتُّر :

ــ تُرَى كم سنحتمل بدون أكسوجين ؟

تمتم (نور) فى قَلَق :

ــ ما لايزيد على عشر دقائق .

شحب وجهها ، وهى تتمتم :

ــ وبعدها نلحق بـ (نشوى) ، فى العالم الآخر .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ إن (نشوى) لم تمت يا (سلوى) .. لقد قال ذلك المخلوق إنها على قيد الحياة ، ولكنها لم تُعد كما كانت ، ونحن لا ندرك بعد ما الذى يَعْنِيه بذلك ؟!

أخفت وجهها بكفَّيْها ، وبكت ، وهى تقول فى مرارة :

ـ ربَّما يقصد أنها قد تشوَّهت .

غمغم الدكتور (حجازى) فى شرود :

ـ أو صارت مثلهم .

هتف القبطان فى حِدَّة :

ـ أليس من الأفضل أن نؤجِّل ذلك الحديث لما بعد ؟.. لقد غمرت المياه القاعة تمامًا ، ومؤشر الضغط يشير إلى أننا نتعرَّض لنفس الضغط الذى تتعرَّض له الغوَّاصة على عمق كيلومتر ونصف ، تحت مستوى سطح المحيط .

تعلَّقت عيون الجميع بمؤشر الضغط ، الذى راح يتحرَّك فى بطء ، مشيرًا إلى أن الضغط الواقع على الغوَّاصة صار يساوى غوصها لعمق كيلومترين ..

ثلاثة كيلومترات ..

واتسعت تصدُّعات جدران الغوَّاصة ، وعادت المياه تتدفَّق من شقوقها إلى الداخل ، وهتف القُبْطان فى حَنَق :

ـ ستنهار الجدران بعد قليل .. إنها لن تحتمل طويلًا .. لقد انتصر علينا هؤلاء الأوغاد ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفعت المياه داخل الغوَّاصة فى عُنْف ، وصرخت (سلوى) فى رُعْب :

ـ إنها النهاية .

هتف (نور) ، وهو يشعر بضغط هائل على أذنيه :

ـ قاومى يا (سلوى) .. قاوموا جميعًا ..

ولكنه عجز ـ هو نفسه ـ عن اتباع نصيحته ، ومادَت به الأرض ، وأظلمت الدنيا أمام عينه ، وسمع زوجته تصرخ ، ثم غرق فى ظلام دامس ..

ظلام غيبوبة أخرى ..

أو ظلام الموت ..

* * *

٦ ـ لقاء مذهل ..

أغلق (رمزى) عينيه فى ألم ومرارة ، وأسند جبهته إلى راحتيه ، وقد انتابه دُوَار مقزِّز ، بعدما رأى كل ما حدث على شاشة الراصد ، قبل أن تختفى الصورة تمامًا ، وجاهد ليمنع دمعتين حزينتين من الانهمار على وجنتيه ، بعد أن رأى بعينيه نهاية رفاقه ، وراح يغمغم فى لَوْعة :

ــ لماذا ؟.. لماذا يا إلهى ؟!.. لماذا استيقظا من غيبوبتهما ؛ ليلقيا حتفهما هنا ؟.. لماذا ؟.. حقًّا .. لا تعلم نفس بأى أرض تموت .

جاء من خلفه صوت خشن جاف ، يقول :

ــ اطمئن .. إنهم جميعًا على قيد الحياة .. لقد أفقدناهم وعيهم فحسب .

التفت (رمزى) إلى مصدر الصوت فى دهشة ، وهتف :

ــ أنت ؟!.. عجبًا !!.. لقد شاهدت رفاقك يطلقون أشعَّتهم عليك ، فى محاولة للنيْل من (نور) ، حينما كان يحتمى بجسدك .

أجابه المخلوق فى برود :

ــ لم يكن أنا .. إنه (بروشار) المسكين ، الذى لقى حتفه بسبب رفاقك .. ولكنها ملحوظة هامَّة ، فهى تُغنِى أنكم تروننا جميعًا متشابهين .

غمغم (رمزى) فى شكّ :

ــ ولكنك تتحدَّث لغتنا على نحو جيِّد ، على حين قال (بروشار) أنه وحده يجيد لغتنا .

أجاب المخلوق فى هدوء :

ــ بل قال إننا لم نجدها مثله بعد .. ولقد فعلنا .

تطلَّع إليه (رمزى) لحظات فى حَيْرة ، ثم قال فى حِدَّة :

ــ ماذا تنوُون أن تفعلوا برفاق ؟

صمت المخلوق لحظة ، ثم قال :

ــ ليس هذا من شأنك .

ثم ارتسم على شفتيه شبح ابتسامة ، وهو يستطرد :

ــ ولكن ثِقْ أننا سنذهلهم .. سنذهلهم تمامًا ..

* * *

سبحت (سلوى) فى ظلام غيبوبتها العميقة طويلًا ، وبدا لها جسدها ، وكأنما يعوم فى منطقة انعدام وزن ، وقد

تلاشت كل آلامه ، وضاعت ماديته ، ثم بدأ شعورها بجسدها ينمو تدريجيًّا ، وراحت أحاسيسها تعود إليها رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، وشعرت بأصابع رقيقة تتحسَّس وجنتها ، فغمغمت فى وَهَن :

ــ (نشوى) .. ابنتى !!.. أهو أنت ؟

جاءها صوت مألوف يقول فى حنان وخفوت :

ــ نعم يا أُمَّاه .. إنه أنا .

كان الصوت يشبه كثيرًا صوت ابنتها ، إلَّا أن نبراته كانت تختلف ..

كانت أكثر رقَّة وأنوثة ، ونضجًا ..

وفى أعمق أعماق (سلوى) ، تصاعدت سحابة قلق ..

سحابة ارتفعت إلى قلبها ، فخفق فى قوة ، وظلَّ يخفق مع تصاعد السحابة إلى عقلها ، الذى ارتجف لحظة ، ثم ألقى كل أوامره إلى جسدها ، فانتفضت أطرافها ، وفتحت عينيها فى بطء ..

فى البداية بدت لها الصورة مهتزَّة ..

ثم أخذت تتضح فى بطء ..

وأطلَّ من عينى (سلوى) نهر من الحَيْرة والتساؤل ، وهى تحدِّق فى وجه تلك التى تنحنى نحوها ..

لم تكن ابنتها ..

لم تكن هى بالتأكيد ..

صحيح أنها تشبهها كثيرًا ..

ولكنها ليست هى ..

الأخرى أصغر سنًّا ..

أصغر بكثير ..

وفى مزيج من التوتُّر والقلق والحَيْرة ، غمغمت (سلوى) :

ــ أين (نشوى) ؟.. أين ابنتى ؟

ترقرقت دمعة ، فى عينى تلك التى تنحنى نحوها ، ثم لم تلبث أن سالت حارة على وجنتيها ، ونافست حرارة ذلك الصوت الحزين الخافت ، الذى تصاعد من بين الشفتين ، قائلًا :

ــ هأنذا يا أُمِّى .. أنا (نشوى) .

اتسعت عينا (سلوى) فى ذُعْر وذهول ، وتراجعت كالمصعوقة ، وهى تهتف :

ــ أنت ؟!

انهمرت الدموع من عين (نشوى) فى غزارة ، واحتضنت كفَّ أمها فى ألم ، وهى تهتف :



ـــ هأنذا يا أُمّى .. أنا (نشوى) ..
اتسعت عينا (سلوى) فى ذُعر وذهول ، وترجعت كالمصعوقة ..

ـــ نعم يا أُمَّاه .. إنه أنا .. أعلم أنك قد تركتنى منذ عام واحد مجرَّد طفلة فى العاشرة من عمرها ، وكان ينبغى أن تجدينى الآن فى الحادية عشرة ، إلّا أننى ضحيَّة تجربة شيطانية يا أمَّاه .. تجربة انتزعت منِّى سنوات طفولتى ، وقفزت بزمنى ونمُوِّى إلى الأمام ، متحدِّية قوانين النُّمُوّ والنُّضج .. إنه أنا يا أمَّاه .. أنا ابنتك .

ظلَّت (سلوى) لحظات تحدِّق فى وجهها بذهول ..

كان حقًّا لقاءً مذهلًا ..

إن (نشوى) لم تعُد (نشوى) ..

لم تعُد تلك الصغيرة ..

وبأصابع مرتجفة ، ودهشة عارمة ، امتدت يد (سلوى) نحو ابنتها ..

وبكل حبّ الدنيا ، وحنان الأمومة ، تحسَّست شعرها الأسود الناعم ، المنسدل على كتفيها ..

لم تكن تلك التى تنحنى نحوها طفلة فى العاشرة ..

كانت شابة فاتنة ..

شابة فى العشرين من عمرها تقريبًا ..

سوداء العينين ، طويلة الرمشين ، ناعمة الشعر ، ورديَّة البشرة ، ناضجة الشفتين ..

شابة من أجمل فتيات القرن الحادى والعشرين ..

كانت أجمل صورة يمكن أن تتخيَّلها (سلوى) لابنتها ..

وسالت دموع (سلوى) ..

وانهمرت دموع (نشوى) ..

وامتزج الدمعان ..

امتزجا مع خفقان قلبين ، وحَيْرة عقلين ..

ثم ذابت كل منهما بين ذراعى الأخرى ..

لقاء مذهل عجيب ..

لقاء أم وابنتها ، صارتا أقرب إلى صديقتين ..

وأمسكت (سلوى) كتفى ابنتها ، وأبعدتها عن صدرها قليلًا ، وملأت عينيها بجمالها فى حنان ، وهى تغمغم :

ــ (نشوى) .. لقد صرت فاتنة .

مسحت (نشوى) دموعها ، وابتسمت فى حزن ، وهى تتمتم :

ــ وأنت استعدت وعيك يا أمَّاه .

غمغمت (سلوى) :

ــ أبوك أيضًا استعاد وعيه يا (نشوى) .

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

ــ أعلم يا أمى .. لقد التقيت به ، قبل استعادتك وعيك ، وقبل أن يأخذوه .

حدَّقت (سلوى) فى وجهها بدهشة ، قبل أن تسألها فى توتُّر :

ــ من هؤلاء ؟.. من هؤلاء الذين أخذوه ؟

ارتجفت شفتا (نشوى) فى غضب ، وهى تقول :

ــ السَّادة .. (سادة الأعماق) ..

* * *

دفع اثنان من المخلوقات البحرية (نور) ، داخل حجرة دائرية صغيرة ، يقف داخلها مخلوق ثالث ، يرتدى زيًّا مخالفًا ، ويُولِى (نور) ظهره ، وهو يتطلَّع إلى شاشة رصد كبيرة فى اهتمام ، وأغلق المخلوقان الباب ، فاعتدل (نور) ، وقال فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ حسنًا .. أهو لقاء خاصّ ؟

أجابه المخلوق ، دون أن يلتفت إليه :

ــ شىء من هذا القبيل .

سأله (نور) فى صرامة :

ــ وما الغرض من ذلك اللقاء الخاصّ يا تُرَى ؟



أدار (نور) عينيه إلى شاشة الراصد ، والتقى حاجباه ، وهو يتطلَّع إلى تلك الصورة التى تنقلها ..

أشار المخلوق إلى شاشة الراصد ، وقال فى هدوء :

ـ هذا .

أدار (نور) عينيه إلى شاشة الراصد ، والتقى حاجباه ، وهو يتطلَّع إلى تلك الصورة التى تنقلها ..

صورة سفينة الفضاء الإمبراطورية الأرغورانية ، التى يقودها (س ١٨) فى مدار حول الأرض ..

ورَانَ الصمت طويلاً على تلك الحجرة الدائرية الصغيرة ، قبل أن يقول (نور) فى خشونة :

ـ ما الذى تريده بالضبط ؟

قال المخلوق فى برود ، دون أن يرفع عينيه عن الشاشة :

ـ كيف يمكن القضاء على ذلك الشىء ؟

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ عجبًا !!.. إنك لا تبدو لى أبْلَه .

سأله المخلوق فى هدوء :

ـ ماذا تُعْنى ؟

هتف (نور) متهكِّمًا :

ـ لا أظنك تتوقَّع منِّى أن أخبرك بكل بساطة ، بوسيلة القضاء على أعظم سلاح دفاعىّ على سطح كوكبنا .

التفت إليه المخلوق لأوّل مرّة ، وحدجه بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ــ إننا لم نتوقّع أن تفعل ذلك بكل بساطة بالطبع .

ثم عقد كفّيه خلف ظهره ، مستطردًا :

ــ لقد رأيت ابنتك بالتأكيد .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) فى حِدّة :

ــ بلَى .. ولقد رأيت كيف أجريتم تجاربكم الحقيرة عليها .

مطّ المخلوق شفتيه الرفيعتين ، وقال :

ــ إنها لم تتناول سوى نقطة واحدة من عقّارنا .. ولتعلم أنها ثالث تجربة فعلية لنا ، فلقد أعطينا أحد الطفلين المرافقين لها خمسة سنتيمترات من العقّار ، فتحوّل إلى مخلوق بشع ، يناهز المائتين من العمر تقريبًا ، وسقط جثة هامدة على الفور ، وأعطينا الثانى ثلاث نقاط فحسب ، فتحوّل إلى عجوز يقارب المائة ، وهاهو ذا يحتضر ، وعندما أعطينا ابنتك نقطة واحدة ، قفز بها العمر عشر سنوات فحسب .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أتهدّدنى بإعطائها جرعة إضافية ؟

هزّ المخلوق كتفيه ، وهو يقول :

ــ إنها فكرة لا بأس بها .

أجابه (نور) فى حزم غاضب :

ــ افعل إذن .. اقتلنا كلنا لو أردت ، ولكننى لن أضحّىَ بالأرض بهذه البساطة .

بدا وكأن إجابته قد أدهشت المخلوق ، الذى تطلّع إليه طويلًا فى صمت ، قبل أن يقول :

ــ أهذا هو قرارك النهائى ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى لهجة حاسمة ، لا تقبل النقاش :

ــ نعم .. فمصرعنا جميعًا قد يَعْنِى نجاة كوكب الأرض بأكمله ، على حين أن نجاتنا الحالية ، ستعْنِى بالتأكيد نهاية كوكب الأرض ، ونهايتنا ضمنيًّا ، وهكذا تجد أن نهايتنا واحدة فى الحالتين ، على حين تختلف نهاية كوكب الأرض تمامًا .

قال المخلوق فى غضب :

ــ ومن قال إن إصرارك على الرفض سيغيّر مصير كوكب الأرض ؟

ثم اتجه نحو مجموعة من الأزرار ، وهو يستطرد فى حِدّة :

ـ سأثبت لك العكس تمامًا ، سألقى أطنانًا من العقّار فى المحيط ، وأدفعها إلى التبخُّر فى سرعة ، لتختلط بالسحب ، ولتسقط مع الأمطار فى مياه الأنهار ، وسيتحوَّل سكان كوكب الأرض بعد يومين على الأكثر إلى كهول وعجائز وموتى و ....

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يستمع إليه فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ـ لا بأس .. افعل .

حدَّق المخلوق فى وجهه بدهشة ، ثم هتف فى حَنَق :

ـ إنك تتبجَّح فحسب .. اعْلَمْ إذن أنه بضغطة واحدة على ذلك الزِّرِّ الأحمر ، تبدأ عملية النُّمُوّ الشيطانىّ لسكَّان كوكب الأرض ..

اتجه (نور) نحو الأزرار فى حزم ، وهو يقاطعه قائلًا فى سخرية :

ـ لِمَ الانتظار إذن ؟.. دَعْنا نبدأ الآن .

وقبل أن يدرك المخلوق ما يقصده (نور) ، كان الأخير قد ضغط الزِّرَّ الأحمر ، وأطلق أطنانًا من عقَّار النُّمُوّ الشيطانىّ فى أعماق المحيط ..

وبدأت نهاية كوكب الأرض ..

* * *

٧ ـ انفجــار ..

لم يستطع ذلك المخلوق المائىّ إخفاء ذهوله ، وهو يتطلَّع إلى (نور) ، هاتفًا :

ـ هل تدرك ماذا فعلت بكوكبك وقومك ؟!.. لقد أطلقت أطنانًا من عقَّار النُّمُوّ فى المحيط ، وهذه الأطنان معالجة بوسيلة خاصَّة ، بحيث أنها ستتبخَّر فور وصولها إلى السطح ، وتتصاعد على هيئة سحب كثيفة ، و .....

قاطعه (نور) فى ضَجَر :

ـ وتمطر وسط مياه الأنهار .. نعم .. لقد سمعت ذلك من قبل .

اعتدل المخلوق فى صرامة ، وقال :

ـ لا بأس .. أنت ستتسبَّب فى نهاية كوكبك بعنادك .

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول ساخرًا :

ـ لا ضرر مع بعض التغيير ، للتغلُّب على رتابة الحياة ..

بدا المخلوق شديد الغضب والعصبيَّة ، وهو يقول :

ـ حسنًا أيها المتبجّح العنيد .. سأمنحك فرصة أخرى نادرة .. سأجعلك تشاهد بنفسك الخطوات الأولى للنهاية .. نهاية كوكبك .

وبضغطة على زرٍّ آخر ، بدأت شاشة الراصد تنقل مشهدًا لسطح المحيط ..

وراح (نور) يشاهد البداية ..

بداية النهاية ..

* * *

كان كل شيء يسير فى هدوء وانتظام على سطح المحيط ..

الحوّامات الجوّبرّمائية تواصل رحلاتها بين القارات ..

الجزر الصناعية السياحية تسبح برشاقة راقصات الباليه ..

الطوّافات النفّاثة تحلّق فى نعومة ..

وفجأة .. حدثت الكارثة ..

انقلب فجأة سطح المحيط ، وبدا وكأنه يغلى بفقّاعات ضخمة مخيفة ، فتراقصت الجُزُرُ السياحية الصناعية فى قوّة ، وارتفعت الأمواج فى عنف ..

ثم حدث الانفجار ..

انفجار رهيب يصمّ الآذان ، دوّى حينما لامست أطنان العقّار الشيطانىّ سطح المحيط ، ثم تحوّلت فجأة إلى غازات رهيبة ..

سحب هائلة تصاعدت من سطح المحيط ، ودفعت الحوّامات الجوّبرّمائية إلى أعلى ، ثم قلبتها رأسًا على عقب ، وحطّمتها ، ودمّرتها وأسقطت الطوّافات النفّاثة ، وأغرقت الجزر السّياحيّة الصناعيّة ..

والتهب المحيط ..

التهب بسحب عقّار شيطانىّ رهيب ، يحمل موتًا جَهَنّميًا لكل سكّان كوكب الأرض ، تصاعدت إلى السماء ، وحجبت الشمس بسحب قاتلة كثيفة ..

وارتجّ العالم كله بالخبر ..

خبر الكارثة المخيفة ..

خبر المحيط الملتهب ..

وعلى الرغم من أن كل الأقمار الصناعية قد صوّرت الحادث ..

وعلى الرغم من أن العالم كله قد رآها ..

إلا أن أحدًا لم يدرك مدى خطورتها ..

أحدًا لم يتصوَّر أنها بداية شيطانية جَهنَّمية مخيفة ..

وفجأة .. حدث ما لم يتصوَّره أحد ..

ما لم يتخيَّل أحد حدوثه ..

حتى (سادة الأعماق) ..

لقد اندفعت السُحب كلها نحو بؤرة واحدة ، فى منتصف المحيط تقريبًا ..

ثم تصاعدت إلى أعلى ..

إلى الفضاء ..

إلى العدم ..

وانتهت الكارثة بغتة ..

انتهت على نحو مُذْهل ..

ولكن كيف ؟! ..

كيف ؟! ..

* * *

اتسعت عينا المخلوق المائىّ فى ذُهول واستنكار ، وهو يحدِّق فى شاشة الراصد ، واختلط ذهوله واستنكاره بغضب هائل ، حينما شقَّت ضحكة (نور) الساخرة المكان ، فالتفت إليه المخلوق صارخًا فى ثورة :

ـــ لماذا تضحك ؟.. ماذا حدث ؟

واصل (نور) ضحكه لحظات ، قبل أن يجيب فى سخرية :

ـــ كم أنتم بلُهاء يا أوغاد الأعماق .. إنكم لم تحسنوا تقدير قوَّتكم ، ولا تقدير قوَّة خصومكم .. إن هذه السفينة الفضائية تعود إلى كوكب محارب ، كان يومًا أقوى كواكب هذا الكونَ ، وأكثرها شراسة ، ألا وهو كوكب (أرغوران) .. ولقد فزنا بهذه السفينة كغنيمة حرب ، بعد أن هزمنا ذلك الكوكب المحارب الشرس بمعجزة(*) ، ويقودها ملَّاح آلىّ رائع ، هو فخر حضارة رائعة ، سادت كوكبنا منذ ملايين السِّنين(**) ، ومهمَّة الملاح والسفينة هى حماية كوكبنا من أىّ غزو خارجىّ ، ومنع الكوارث والحروب الداخلية على سطحه .. ولقد تصوَّرتم أن مهمتنا تقتصر على صدّ الصواريخ ، والقنابل والأشعة القاتلة فحسب ، ولكنكم كنتم على خطإ ، فإحدى وسائل الحروب ، التى يواجهها (س١٨) وسفينته ، هى الحرب الكيميائية ، وإحدى مهامه هى تحليل المناخ

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

(**) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

والسُّحب طيلة الوقت ، واتخاذ كل الوسائل الممكنة لمحاربة وتغيير أى تحوُّر يصيبها .. ولقد كشف (س ١٨) أن هذه السُّحب ليست عاديَّة ، وأنها تحمل عقَّارًا غير تقليدىّ ، فتحرَّكت وسائله الدفاعية على الفَوْر ، وسحب الغيوم القاتلة كلها ، وبدَّدها فى الفضاء .. وهكذا لم تعُد لأساليبكم القتالية فاعليتها أيُّها السادة .

وأعقب قوله بضحكة أخرى ساخرة ، جعلت المخلوق المائىّ يستشيط غضبًا ، وهو يقول فى حَنَق :

ـ أيسعدك هذا إلى ذلك الحدّ ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى سخرية :

ـ بالتأكيد .

صاح المخلوق فى غضب :

ـ سأعمل على محوِ سعادتك إذن .

ثم استدار إلى شاشة الراصد ، وضغط زرًّا آخر ، فنقلت إليه الشاشة صورة (نشوى) و (سلوى) ، وهما يجلسان داخل حجرة صغيرة ، وعقد (نور) حاجبيه فى توتُّر ، وقفز القلق من أعماقه إلى ملامحه ، حينما ألقى المخلوق عبارة غاضبة ، بصوته الخشن ، ولهجته الجافة ، وقال (نور) فى عصبيَّة :

ـ ما الذى تنوى أن تفعله ؟

أجابه المخلوق فى عنادٍ :

ـ سأجبرك على فعل ما أريد .

قفز توتُّر (نور) إلى ذِرْوَته ، حينما رأى ثلاثة من تلك المخلوقات ، على شاشة الراصد ، يقتحمون حجرة (سلوى) و (نشوى) ، وينتزعون تلك الأخيرة من بين ذراعَىْ أمها الملتاعة فى قسْوة ، فغمغم فى غضب :

ـ كلَّا .. إنك لن تسىء إليها مرَّة أخرى .. يكفى ماسرقتموه من عمرها .

ثم انقضَّ على المخلوق المائىّ ، وتحوَّلت غمغمته إلى صرخة ثائرة ، مُفْعَمة بالصرامة والصلابة والعناد ، وهو يستطرد :

ـ لن أسمح بذلك .

واشتبك البرُّ مع البحر ..

* * *



٨ ــ القتال ..

تعلَّقت عينا القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية المصرية ، بذلك المشهد الهولوجرافى المجسَّم ، الذى صوَّرته الأقمار الصناعية ، لكارثة المحيط الأطلنطى ، وأذناه تتابعان حديث الدكتور (عبد الله) مدير مركز الأبحاث التابع للإدارة ، وهو يقول :

ــ لقد حطَّمت تلك الظاهرة الكارثة ما يقرب من مائة (هوفركرافت) ، تابعة لعشرات الدول ، ونصف هذا العدد تقريبًا من الطوَّافات النفَّاثة ، وربعه من الجزر الصناعية السِّياحية ، وتقدَّر الخسائر مبدئيًّا بمائتى مليار من العملات الدولية و.....

قاطعه القائد الأعلى :

ــ دَعْكَ من الخسائر .. ألم يتم كشف سرّ تلك السُّحب الهائلة بعد ؟

هزَّ الدكتور (عبد الله) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ــ ليس بعد .. ولكننا قمنا بعمل تحليل طيفى للسحب ، عن طريق الصور الهولوجرافية ، التى التقطتها لها أقمارنا ، قبل أن تمتصَّها السفينة الأرغورانية ، وتبدِّدها فى الفضاء .. وهذا التحليل يؤكِّد أن السُّحب لم تكن مجرَّد بخار ماء ، وإنما هى مادَّة عجيبة ، لم نتوصَّل لتركيبها الكامل بعد ، ولكنها تحوى بعض أبخرة الزئبق ، ومواد أخرى غازيَّة ..

تنهد القائد الأعلى فى عمق ، وقال فى توتُّر :

ــ أراهن أن لهذه الظاهرة علاقة بغوص (نور) و (سلوى) فى الأعماق .

مطَّ الدكتور (عبد الله) شفتيه ، وهو يقول :

ــ لست أشكّ فى ذلك .

عاد القائد الأعلى يتنهَّد فى عمق ، ثم قال :

ــ أظن أنه من الضرورىّ أن نرسل قواتنا هناك .

عقد الدكتور (عبد الله) حاجبيه ، وهو يقول فى قلق :

ــ أتقصد فى عمق الأطلنطى يا سيِّدى ؟!

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، فاعتدل الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

— ألا تخشى أن يؤدّىَ ذلك إلى توتُّر دولىّ يا سيِّدى ؟!. أعنى أن إرسال قواتنا إلى هناك قد .....

قاطعه القائد الأعلى بإشارة حازمة من يده ، وهو يقول :

— إنها مياه دولية يا دكتور (عبد الله) ، ومن حقِّ أيّة دولة أن ترسل قوّاتها إلى هناك .

ثم ابتسم ، وهو يضيف ، مشيرًا بسبّابته إلى أعلى :

— ثم إن (س ١٨) هناك ، يعمل على منع الحروب .. أليس كذلك ؟

* * *

كان هجوم (نور) مباغتًا ، إلى الحدّ الذى فجّر ذُعْر المخلوق ودهشته ، وأعجزه عن صدّ لكمة (نور) الأولى ، التى أصابت فكّه ، وألقته بعيدًا ..

ثم تغلّب المخلوق على دهشته بسرعة مثالية ، وقفز واقفًا على قدميه ، وألقى عبارة غامضة ، بصوته الخشن ولغته الجافّة ، قبل أن يُرْدِف بالعربية :

— إنك تخاطر بحياتك وحياة أسرتك ورفاقك أيها الرائد .

هتف (نور) ، وهو يوجّه إليه لكمة أخرى :

— بل بحياتك أنت أيها الوغد .

هوَت اللكمة على فكّ المخلوق ، بكل ما يملك (نور) من قوّة ، إلّا أن المخلوق المائىّ ، القادم من الفضاء ، لم يتحرَّك قِيدَ أُنمُلة ، بل ازدادت عيناه المضيئتان لمعانًا ، وارتسمت على شفتيه شبه ابتسامة ، بدت متناقضة فى شِدَّة مع دهشة (نور) البالغة ، وهو يغمغم :

— يا إلٰهى !!.. كأننى قد لكمت حائطًا من الصلب !.

أجابه المخلوق فى سخرية :

— بل أكثر صلابة أيها الرائد الأرضى .. إن أجسادنا تشبه أجسادكم فى التكوين العام ، فيما عدا أننا نملك خياشيم خلف الأذنين ، بدلًا من ذلك البروز فوق أفواهكم ، الذى تطلقون عليه اسم الأنف .. وأن أجسادنا مغطّاة بالحراشيف ، وعيوننا تملك القدرة على الرؤية فى الظلام و .....

اتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يضيف :

— وقُدرة خاصة على تقوية سطوحنا الخارجية ، لتحتمل الضغوط المختلفة ، وقوة ضربتك لن تبلغ أبدًا قُدرة أجسادِنا على احتمال الضغوط .

التقى حاجبا (نور) ، وتألّق العناد فى عينيه لحظة ، ثم لم يلبث جسده أن استرخى ، وهو يقول فى استسلام مفاجئ :



لقد هَوَت لكمة (نور) على فكِّ المخلوق ، وبدت كقنبلة ، وهى تلقيه إلى الخلف ، وتضربه فى جدار الحجرة ..

ـ لا سبيل لهزيمتكم إذن .

شابَ ابتسامة المخلوق بعض الفخر ، وهو يقول :

ـ نعم لا سبيل لهزيمتنا .

تراخت قبضة (نور) إلى جواره ، وهو يغمغم فى يأس :

ـ حسنًا .. لقد وَعَيْت الدرس .

اتسعت ابتسامة المخلوق ، واتجه نحو (نور) ، وهو يقول فى ارتياح :

ـ هذا أفضل .

وفجأة .. عادت أصابع قبضة (نور) تنضمّ وتلتقى ، وانطلقت القبضة فى وجه المخلوق ، و (نور) يهتف :

ـ نعم .. لقد وَعَيْت الدرس تمامًا ..

* * *

كانت مفاجأة مدهشة بحقّ ..

لقد هوَت لكمة (نور) على فكِّ المخلوق ، وبدت كقنبلة ، وهى تلقيه إلى الخلف ، وتضربه فى جدار الحجرة ، ثم تدفعه مرَّة أخرى إلى الأمام نحو (نور) ، الذى استقبله بركلة فى معدته ، جعلته ينثنى ، ويطلق خوارًا أشبه بصوت فرس النهر ، قبل أن يعالجه (نور) بثلاث لكمات قويَّة متعاقبة فى فكِّه ، خبا لها بريق عينيه المضيئتين ، وسقط أرضًا ..

وبسرعة .. راح (نور) ينتزع من حزام المخلوق تلك الكُرَة اللامعة ، التى تُطلق أشعة قاتلة ، وهو يقول :

ــ نعم أيها الحقير .. لقد وَعَيْتُ الدرس .. لقد تذكَّرت كيف كان للكمتى الأولى أثرها عليك ، حينما باغتتك ، على حين كنت كجدار من الصلب أمام لكمتى الثانية ، التى كنت تنتظرها ، وتستعدّ لها ، ولقد جعلنى هذا أدرك قدرتكم .. إن أجسادكم عاديَّة ، ولكنكم تملكون القُدرة على تحويلها إلى أجسام صلبة بإرادتكم ، وهذه القُدرة لا تنشأ إلّا فى حال الشعور بالخطر ، أو الغوْص فى أعماق سحيقة ؛ لذا فقد خدعتك بتظاهرى بالاستسلام واليأس ، فتخلَّيت أنت عن جدارك الدِّفاعىّ ، ونجحت فى مباغتتك وهزيمتك .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يندفع نحو باب الحجرة ، مستطردًا :

ــ كما سأهزم رفاقك كلهم بإذن الله .

تحرَّكت أصابعه على جانبى الباب فى سرعة ، بحثًا عن وسيلة فتحه ، حتى عثرت سبَّابته على دائرة دافئة ، وسط الجدران الباردة ، فداعبها بأصابعه ، وهو يغمغم :

ــ كيف يمكن التحكُّمُ فيك يا تُرَى ؟

راح يضغط الدائرة ، ويتحسَّسها ، ويدير أصابعه حولها ، بحثًا عن أسلوب تحريكها ، دون أن يتحرَّك باب الحجرة ، ممَّا كاد يبعث اليأس فى نفسه ، فغمغم فى حَنَق :

ــ اللَّعنة !!.. هل ستنتهى محاولتى كلها ، عند باب هذه الحجرة اللَّعينة ؟!

زفر فى قوَّة وحَنَق ، ثم تراجع ، وصوَّب الكُرَة اللامعة إلى الدائرة ، وهو يقول فى حزم وصرامة :

ــ حسنًا .. إنك لم تتركى لى سوى تلك الوسيلة السخيفة .

وفجأة .. وقبل أن يضغط جانبى الكرة ، تحرَّك الباب من تلقاء نفسه ، ووجد (نور) نفسه وجهًا لوجه أمام ابنته (نشوى) ..

ولكنها لم تكن وحدها ..

كان على جانبيها حارسان ، يحمل كل منهما كُرَة لامعة مشابهة ، و.....

وغضب يكفى لقتل (نور) ..

* * *

٩ ــ الأَقْوَى ..

تُرَى كم تبلغ سرعة الأفكار فى العقل البشرى ؟..

هل سأل أحدكم نفسه يومًا ذلك السؤال ؟..

أهى مثل ، أو أقل ، أو أكثر من سرعة الضوء ؟..

لا أحد يدرى ..

ولكن المؤكَّد هو أن عشرات الأفكار قد تدور فى الرأس ، وتترابط ، وتتناسق ، وتترتَّب ، وتتخذ الشكل المنطقىّ المتَّزن ، فى جزء من أعشار الثانية ..

وخاصَّةً حينما يكون صاحبها فى مواجهة الخطر ..

أو الموت ..

لو أنك تعترض على هذا المنطق ، فَدعْنا نتابع ما حدث وما دار فى رأس (نور) ، فى ذلك الجزء من الثانية ، الذى أعقب رؤيته لابنته ، بين حارسَيْها ..

لقد رأى فى عينى ابنته ، التى خاضت تجربة شيطانية أليمة ، انتزعت منها أجمل سنوات عمرها ، مزيجًا من الدَّهشة والذُّعر والخوف ..

ورأى فى عينى حارسَيْها خليطًا من الغضب والشراسة ..

وأدرك أنه لا مجال للتراجع ..

وكان من الضرورىّ أن يفاجئ الحارسَيْن ، حتى يمكنه هزيمتهما ، قبل أن يبادراه بالهجوم ، أو يحيطا جسديهما بذلك الغلاف الفولاذىّ الصلب ..

وعلى الفور ، وفى ذلك الجزء من الثانية ، اتخذ عقله خُطَّة الهجوم ، وأبرق بها إلى أطرافه ، وبدأ القتال ..

وتحرَّك (نور) ..

ارتفعت يده ، التى تمسك الكُرَة اللامعة ، فى سرعة ، وضغطتها أصابعه من الجانبين ، فانطلقت من منتصفها أشعة قويَّة ، أطارت كُرَة الحارس الأيمن ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (نور) ، ولكَمَ الحارس الأيسر بكل ما يملك من قوَّة فى فكِّه ، فألقاه أرضًا ، ثم استدار إلى الأيمن ، وغاص بقبضته اليسرى فى معدته ، ثم هَوَى بالكُرَة اللامعة على فكِّه ..

وصرخت (نشوى) :

ــ أبى !!

إلَّا أنها فوجئت بـ (نور) يلتقط معصمها ، ويندفع بها عَبْرَ الرِّواق الطويل ، الممتدّ أمامه ، دون أن ينبس ببنتِ شَفَة ، فهتفت مرَّة أخرى :

ـــ إلى أين يا أبى ؟.. ماذا ستفعل ؟

هتف فى إصرار :

ـــ سنحبط خُطَّة هؤلاء الأوغاد يا (نشوى) .. لن نسمح لهم بغزو كوكبنا ، أو تحطيم بشريَّتنا .

هتفت فى ألم ومرارة :

ـــ كيف ؟.. إنهم الأقْوَى يا أبى .

توقَّف بغتة ، على نحو كاد يفقدها توازنها ، وهو يهتف فى غضب :

ـــ كلَّا .. إنهم ليسوا كذلك .

ثم أمسك كتفى ابنته فى قوَّة ، وتطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يستطرد :

ـــ اسمعى يا (نشوى) .. لقد نضج جسدك قبل الأوان ، وسرق منك هؤلاء الحقراء سنوات عمرك وطفولتك ، ولكن عقلك مازال يحتاج إلى الكثير ، ليواكب نموّ جسدك .. واعلمى أن أكثر ما يمنح الآخرين قوَّة ، هو أن نؤمن أنهم كذلك ، وأن أفضل وسيلة لقتال خصومنا هى أن نُوهم أنفسنا بقدرتنا على هزيمتهم .

سالت على وجنتيها دمعة حزينة ، وهى تقول :

ـــ أخطأت يا أبى .. أخطأت فى الأمرين .. إن (سادة الأعماق) لم يكتفوا بتنمية جسدى فحسب ، وإنما راحت أجهزتهم تلقِّننى ، طِيلَة عشر ساعات كاملة ، قضيتها فى غيبوبة صناعية ، أعقد علوم الأرض والكون ، لرفع درجة ثقافتى وذكائى ، وتنميتهما إلى أقصى حدّ ممكن .

اتسعت عيناه ، وهو يتطلَّع إليها فى هَلَع ، مغمغمًا فى انفعال :

ـــ ولكن لماذا ؟.. لماذا فعلوا بك ذلك ؟

لوَّحت بذراعها ، وهى تهتف :

ـــ لأنهم أرادوا أن يصنعوا منِّى سفيرة بينهم وبيننا .. سفيرة تصلح لنقل كل آرائهم إلى الأرض ، ونقل كل آراء الأرض إليهم .

هتف فى حَيْرة :

ـــ لماذا ؟.. لقد أرادوا إفناء الأرض وأهلها !!

هزَّت رأسها نفيًا فى قوَّة ، وهى تقول :

ـــ كلَّا .. كانوا يأملون أن يتمَّ الأمر بالتفاوض .. بحيث يتنازل لهم أهل الأرض عن البحر ، ويكتفون بالبرّ .

هتف (نور) :

ــ هذا مستحيل !! لا يمكننا أن نحيا بدون البحار والمحيطات .

أجابته ، وهي تبكي في حرارة :

ــ كانوا سيفنون أهل الأرض ، لو أن هذه هي إجابتهم النهائية .

تراجع في حِدَّة ، وانعقد حاجباه في غضب ، وهو يهتف :

ــ كلَّا يا (نشوى) .. ليست هذه هي الحقيقة .. إن هؤلاء الأوغاد لم يهتموا أبدًا بقيام أيَّة اتصالات ، بينهم وبين سكَّان كوكب الأرض .. إن ما فعلوه بك مجرَّد تجربة حقيرة ، للحصول على مخلوق أرضى متفوِّق ، يؤمن بوجودهم ، ويعاونهم في تفهُّم ودراسة طبيعة ذلك الكوكب ، الذى سيحتلُّونه .. مخلوق برِّىّ .

غمغمت في دهشة ، يشوبها بعض الذُّعر :

ــ برِّىّ ؟!

عاد يمسك كتفيها في قوَّة ، وهو يقول :

ــ نعم يا (نشوى) .. مخلوق برِّىّ .. من الواضح أن قدرتهم على البقاء خارج الماء محدودة ؛ لذا فهم يسعَوْن لصنع مخلوقات برِّيَّة تابعة ، يمكنهم استخدامها ؛ لتفقُّد البرّ بعد الاحتلال .. وأنت أوَّل هذه المخلوقات .

أخفت وجهها براحتها ، وهي تتراجع مغمغمة في ذُعْر :

ــ يا إلٰهى !.. يا إلٰهى !!

واتسعت عيناها في رُعْب ، ثم نفضت عنها كل هذا فجأة ، وهي تهتف :

ــ ربَّما يا أبي .. ربَّما .. ولكن هذا لا ينفى أنك قد أخطأت في الأمر الثاني أيضًا ، فليس من الصواب أن تستهين بقوَّة خصمك ، أو تتصوَّر أنه .....

بترت عبارتها بغتة ، وحجظت عيناها ، وهي تصرخ :

ــ أبي .. احترس !!

كان تحذيرها كافيًا ، ليدفعها (نور) جانبًا ، ويدور على عَقِبَيْه في رشاقة ، مواجهًا المخلوقات الثلاثة ، التي تندفع نحوه من نهاية الرَّواق ، ويطلق أشعة الكُرَة اللامعة نحوها ..

وأصابت أشعته مخلوقين ، وأسقطتهما أرضًا ، على حين تراجع الثالث في سرعة إلى نهاية الرَّواق ، وأغلقه في إحكام ، فهتفت (نشوى) :

ــ إنهم يسجنوننا هنا .

هتف (نور) في توتُّر :

ــ أظنهم سيعمدون إلى نفس أسلوبهم السابق .. سيغمرون المكان بالماء ، ويرفعون ضغطه .

ارتجف صوتها فى رُعْب ، وهى تقول :

ــ ألم أقُل لك إنهم الأقوى يا أبى ؟

هتف فى حِدَّة :

ــ هذا لم يتَّضح بعد .

اتسعت عينا (نشوى) فى ذُعْر ، وتراجعت ، وهى تهتف بصوت مُختَنِق :

ــ بل اتضح .. انظر .

خفق قلبه فى عنف ، حينما تطلَّع إلى حيث أشارت ، فمن جانبى باب الرّواق ، كان هناك شلَّالان صغيران من الماء ، ينهمران فى قوّة ، ويدفعان آلاف اللّترات داخل الرّواق ، الذى اكتست أرضيته بطبقة من ماء المحيط ، راحت ترتفع فى سرعة ..

وتلفَّت (نور) حوله فى توتُّر ، و (نشوى) تغمغم فى اضطراب وارتياع :

ــ إنها النهاية .. سيغرقوننا .. سيغرقوننا يا أبى .

أمسك معصمها ، وجذبها نحو باب مُغلق ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ ليس بعد ..

تبعته إلى ذلك الباب ، وراح هو يبحث عن تلك الدائرة الدافئة فى جانبه ، وغمغم فى حَنَق :

ــ والآن علينا أن نواصل محاولاتنا ، للبحث عن وسيلة استخدام تلك الدائرة اللّعينة .

ربَّتت (نشوى) على كتفه ، قائلةً :

ــ دَعْ لى هذه المهمَّة يا أبى .

ثم لمست الدائرة بسبَّابتها ، ثلاث لمسات متتالية سريعة ، وضغطتها بعد ذلك ، فأصدر الباب أزيزًا خافتًا ، وتحرَّك فى هدوء ، كاشفًا حجرة متوسّطة ، فهتف (نور) فى دهشة :

ــ كيف تعلَّمت ذلك ؟

أجابته فى هدوء :

ــ ألم أقل إنهم قد لقَّنونى كل شىء ؟

تطلَّع إليها لحظة فى حَيْرة ، ثم دفعها داخل الحجرة ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. سنناقش ذلك فيما بعد .

ولم يكد باب الحجرة يُغلق خلفهما ، وتتضح لهما معالم الحجرة ، حتى تضاعفت دهشة (نور) ، فلم تكن تلك الحجرة تحوى سوى أسطوانة معدنية لامعة فى منتصفها ، تعلوها قبَّة زجاجية ، استقرَّ داخلها جسم كروىّ أزرق ، يشعّ بضوء باهت ، وعلى الجدار المقابل للباب كانت هناك شاشة راصد كبيرة ، تعلو إطارًا يحوى عشرات الأزرار ..

وبعد لحظات من الصمت ، غمغم (نور) فى حَيْرة :
ــ ما هذا ؟
أجابته (نشوى) ، فى لهجة تحمل القليل من التوتُّر :
ــ إنها حجرة الطاقة الرئيسية .
اتسعت عينا (نور) ، وهو يحدِّق فى القبَّة الزجاجية ، هاتفًا :
ــ الطاقة الرئيسية ؟!.. أتعنين أن تلك الكرة هى .....
بتر عبارته فى حَيْرة ، فأكملت هى :
ــ نعم .. إنها كل طاقة السفينة .
تهلَّلت أسارير (نور) ، وتألَّقت عيناه ، وهو يهتف :
ــ يا إلٰهى !!.. هذا يَعْنِى أننا قد أصبحنا الأقوى .. أصبحنا الأقْوَى يا (نشوى) .
ثم اندفع نحو شاشة الراصد ، وسألها فى انفعال :
ــ أى تلك الأزرار يُوصلنى بقائد السفينة ؟
أجابته فى اهتمام :
ــ القرمزى .
أسرع يضغط الزِّرَّ القرمزىّ ، فتألَّقت شاشة الراصد لحظة ، ثم نقلت إليه صورة قائد المخلوقات المائية ، الذى قال فى حِدَّة :

ــ أهو أنت أيها الرائد الأرضى ؟.. لقد ارتكبت خطأً رهيبًا بمهاجمتك إيَّاى ، والفرار داخل سفينتنا .. أنت هالك لا محالة .
أجابه (نور) فى صرامة :
ــ دَعْ عنك غطرستك هذه قليلًا يا وغد الأعماق ، واسمعنى جيِّدًا .. إننى أطالبك ورجالك بالاستسلام ، والإفراج عنَّا ، وترك كوكبنا كله ، وإلَّا دمَّرت طاقتكم كلها ، وسجنتكم هنا إلى الأبد .
بدا التوتُّر والاضطراب فى صوت القائد ، وهو يقول بصوته الخشن الجاف :
ــ دمَّرت طاقتنا .. ماذا تَعْنِى ؟
أجابه (نور) فى صرامة :
ــ إننى الآن داخل حجرة طاقتكم الرئيسية ، ويمكننى أن أنسف مصدر الطاقة ، فتفقدون كل شىء .
صاح القائد فى غضب :
ــ ويمكننى أنا أيضًا أن أُغرقك بالماء ، وأسحقك بالضغط ، و .....
قاطعه (نور) فى حزم :
ــ سيكون لدىَّ من الوقت ما يكفى ، لتدمير طاقتكم ، قبل أن أقضى نحبى .

رَان الصمت لحظة ، ثم غمغم القائد :

ــ وكيف علمت أنك داخل مركز الطاقة ؟

أجابه (نور) فى زَهْو :

ــ ابنتى أخبرتنى .

أدهشه ذلك اللمعان القوىّ فى عينى المخلوق المضيئتين ، وتلك الرَّنَّة العجيبة فى صوته ، وهو يقول :

ــ (نشوى) ؟!

عقد (نور) حاجبيه فى شكٍّ ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. (نشوى) .. هل ......؟

وفجأة .. وقبل أن يتمَّ عبارته ، أدرك كل شىء ..

أدركه بعد فوات الأوان .

أدركه قبل ثانية واحدة ، من ارتفاع صوت ابنته ، وهى تقول فى حزم :

ــ معذرة يا أبى .. قلت لك إنهم قد لقَّنونى كل شىء .

استدار إليها فى شحوب ، وخفق قلبه فى مرارة ، حينما رأى تلك النظرة الجامدة القاسية فى عينيها ، وتلك الكُرَة اللامعة فى قبضتها ، التى تصوِّبها إليه ..

لقد أصبحت تتبع السَّادة .. (سادة الأعماق) ..

* * *



وخفق قلبه فى مرارة ، حينما رأى تلك النظرة الجامدة القاسية فى عينيها ، وتلك الكُرَة اللامعة فى قبضتها ، التى تصوِّبها إليه ..

١٠ ـ المفاوضات ..

هبطت طوَّافة قائد البحرية الأمريكية ، على سطح حاملة الطائرات المصرية (فجر) ، وغادرها هو فى غطرسة واضحة ، سرعان ما تبدَّدت أمام تلك النظرة الصارمة القوية ، التى تطلّ من عينى قائد القوّات البحريّة المصريّة ، الذى استقبله ، قائلًا فى هدوء حازم :

ـ مرحبًا بك على سطح حاملة الطائرات المصريَّة (فجر) أيها الجنرال .

صافحه قائد البحرية الأمريكية فى احترام ، وهو يقول :

ـ كان يسعدنى أن نلتقى فى ظروف أفضل يا سيادة اللواء .

رفع القائد المصرىّ حاجبيه ، فى دهشة مصطنعة ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ وما الذى يجعل تلك الظروف أسوأ ؟

عقد الأمريكى حاجبيه الكثّين ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنكم تنتهكون محيطنا .

هتف المصرىّ فى دهشة ضاحكة :

ـ محيطكم ؟!.. عجبًا كنت أظنّنا فى مياه دولية .

ازداد انعقاد حاجبى الأمريكىّ ، وهو يقول :

ـ ولكن الأطلنطى محيط أمريكى يا سيِّدى اللواء .

أشار المصرىّ إلى أسفل ، وهو يبتسم ، قائلًا :

ـ ولكن رجالنا يعملون فى أسفل ، ونحن هنا لحمايتهم .

رَانَ الصمت لحظات ، وكل من الرجلين يتطلّع إلى عينى الآخر فى تحدّ ، قبل أن يغمغم الأمريكىّ :

ـ لا بأس .. سننتظر حتى يتم انتشالهم وبعدها ..

قاطعه المصرىّ فى صرامة :

ـ وبعدها ماذا ؟

تبادلا نظرات التحدِّى لحظة أخرى ، ثم أجاب الأمريكىّ :

ـ لا شىء .. لا شىء بعدها .

وعاد إلى طوَّافته غاضبًا ، وبات من الواضح أن الموقف على سطح المحيط كالموقف فى قاعه ..

كلاهما ينذر بالخطر ..

بالنيران ..
بمحيط ملتهب ..

* * *

حزن ومرارة هائلان ، امتلأ بهما قلب (نور) ، وهو يتطلَّع إلى عينى ابنته فى ألم ..
صمت هائل ، ذلك الذى ساد بينهما ، وهى تصوِّب كُرتها القاتلة نحوه ..
ثم شقَّت كلمة (نور) بحر الصَّمت ..
شقَّته وشقَّت قلب ابنته ، وهو يقول فى مرارة :
ـ أنت ؟!
كان من الواضح أن المسكينة تُعانى صراعًا رهيبًا فى أعماقها ..
صراع بين ما أملاه عليها (سادة الأعماق) ، وما يمليه عليها قلبها وضميرها ..
صراع جعل وجهها فى شحوب وجوه الموتى ، وأصابعها ترتجف كهِرَّة وسط جبل جليدىّ ..
وأكمل (نور) :
ـ هذا ما أعدُّوك من أجله إذن .. أن تكونى جاسوسة على

قومك .. أن تخونى بنى جنسك .. أن تشاركى فى تحطيم كوكبك .. يا لَلْعار !!
ارتجف صوتها ، وارتجفت أصابعها ، وهى تغمغم فى اضطراب :
ـ إنها رغبة (سادة الأعماق) .. إنها .....
صاح القائد عَبْرَ شاشة الراصد :
ـ نعم .. إنها رغبتنا .. اقتليه .. اقتليه أيَّتها الأرضية .. هذه أوامرنا .
هتف (نور) فى غضب :
ـ كلَّا .. إن أوامر هؤلاء الأوغاد لن تجبَّ بشريتك وآدميتك أبدًا .
سالت الدموع من عينيها فى غزارة ، وهى تقول :
ـ لا أعلم .. لست أدرى .. إننى .....
ازداد ارتجافها على نحو عنيف ، والقائد المائىّ يصرخ :
ـ اقتليه .. اقتليه أيَّتها الأرضية .. إنها إرادتنا .. إنها أوامرنا ..
خُيِّل لـ (نور) لحظة أن ابنته ستقتله ، إلَّا أنها لم تلبث أن صرخت فى ألم :

ـ كلَّا .. لن أقتل أبى .

وألقت الكُرَة اللامعة عند قدمى (نور) ، ثم انخرطت فى بكاء حار ، فاتجه (نور) إليها ، واحتواها بين ذراعيه بكل حُبّه وحنانه ، وربَّت على رأسها مغمغمًا :

ـ لقد انتهى كل شىء يا بنيَّتى .. انتهى كل شىء .

ثم التفت إلى وجه القائد ، الذى يملأ شاشة الراصد ، وأضاف فى حزم :

ـ والآن هل نبدأ المفاوضات ؟

رَانَ الصمت لحظات ، بدا خلالها وجه القائد مُفْعَمًا بالغضب ، قبل أن يقول فى حِدَّة :

ـ لاحظ أنك لا تملك كل الأوراق .

ثم غابت صورته عن الشاشة ، تملأها صورة (رمزى) ، بين حارسين من المخلوقات المائية ، يصوِّبان سلاحيهما إلى رأسه ، مع صوت القائد ، وهو يقول :

ـ إننا نحتجز رفيقك هذا .

وتتابعت الصور على الشاشة ، لتنقل مشهد (محمود) داخل الحوض العلاجىّ ، و (سلوى) فى زنزانتها ، والدكتور (حجازى) والقُبْطان فى زنزانتهما ، وقال القائد المائىّ فى حِدَّة :

ـ إننا نحتجز كل رفاقك .. أى إننا نملك بدَوْرِنا أوراقًا رابحة .

قال (نور) فى حِدَّة :

ـ وأنا أسيطر على حجرة طاقتكم الرئيسية .

هتف القائد فى عصبيَّة :

ـ حسنًا .. كم سندفع مقابل طاقتنا الرئيسية .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ أريد منكم أن تطلقوا سراحنا جميعًا ، وتعيدُونا إلى سطح المحيط .

صمت القائد لحظة ، ثم قال :

ـ أتظنّ هذا يكفى ؟

قال (نور) فى صلابة :

ـ نعم .. أظنّ ذلك .

قال القائد فى حزم :

ـ ولكنه لا يكفينا .

هتف (نور) فى غضب :

ـ ماذا تريدون بالمقابل ؟

ساد الصمت لحظة أخرى ، قبل أن يقول القائد فى هدوء عجيب :

ــ نريد أن نجرِىَ اتصالًا مع السفينة الأرغورانية .

عقد (نور) حاجبيه فى شكٍّ ، وهو يقول :

ــ لماذا ؟.. إننى لن آمر (س ١٨) بالتخلِّى عن حماية الأرض أبدًا ، كما أنه لن يطيع أوامر غيرى .

ابتسم القائد ابتسامة لم ترق لـ(نور) ، وهو يقول :

ــ ربَّما أمكننا إقناعه .

هتف (نور) فى حزم :

ــ هذا مستحيل !! لن يمكنكم إقناعه أبدًا .

هزَّ المائىّ كتفيه ، وهو يقول :

ــ امنحنا الفرصة على الأقل .

امتلأت نفس (نور) بالشكِّ والرِّيبة ، وهو يغمغم :

ــ ولكن .....

قاطعه القائد فى صرامة :

ــ هذا هو شرطنا ، وإلَّا فافعل ما يحلُو لك .. وسنمنحك نصف ساعة لدراسة الأمر ، وبعدها حطِّم مصدر الطاقة لو أردت .

اختفت الصورة على الفوْر من الشاشة ، واتسعت عينا (نور) فى حَيْرة ، قبل أن يلتفت إلى (نشوى) مغمغمًا فى قَلَق :

ــ لماذا يريدون الاتصال بالسفينة الأرغورانية ياتُرَى ؟

غمغمت ، وهى تجفِّف دموعها :

ــ ربَّما يتصوَّرون قدرتهم على إقناع (س ١٨) بالاستسلام .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا فى قوَّة ، وهو يقول :

ــ هذا مستحيل !! إنه لا يطيع سوى صوتى وَخدِى ، وأجهزته تمتلك قُدرة فائقة على تمييز أيَّة تسجيلات مزيفة لصوتى ، وهذا يَعْنِى أنهم لن ينجحوا فى خداعه أبدًا .

تنهَّدت ، وهى تقول :

ــ صِلْهم به إذن ، مادمت لا تخشى ذلك .

هتف فى توتُّر :

ــ ولكننى أخشى أن يكون لديهم أسلوب خداعىّ آخر .

سألته فى اهتمام :

ــ هل تظن أنه يمكنهم خداع (س ١٨) ؟

صمت طويلًا ، وهو يستعيد كل مارآه من قُدرات (س ١٨) ، ذلك المقاتل الأتلانتى الآلىّ الأخير(*) ، الذى نجح يومًا فى صدّ غزو الأرض(**) ، واحتلّ وحده أعظم الكواكب الاستعماريّة فى الكون(***) ، ثم غمغم :

ــ كلّا .. لست أظن أنه يمكنهم خداع (س ١٨) .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يستدرك :

ــ ولكن الأمر يحتاج إلى التفكير .. التفكير العميق ..

* * *

مرَّت المهلة بسرعة بالغة ، حتى لقد بدا وكأن عقارب الساعة قد تناولت بدوْرِها عقّار النموّ الشيطانىّ ، فاختصرت نصف ساعة من عمرها ، وظهر وجه القائد المائى على شاشة الراصد ، وهو يقول :

ــ ما قرارك أيها الرائد الأرضى ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ــ ينبغى أن تَعِدنى أوّلًا بإطلاق سراحنا ، وإعادتنا إلى

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .
(**) راجع قصة (غزو الأرض) .. المغامرة رقم (٤٩) .
(***) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

السطح ، أيًا ما كانت نتائج اتصالك بالسفينة الأرغورانية .

ابتسم المخلوق ، وهو يقول :

ــ أَعِدُك بذلك .. لقد اتخذنا الخطوات اللازمة بالفعل ، فأخرجنا صديقكم المريض من الحوْض العلاجىّ ، ونقلناه مع الباقين إلى غوّاصة خاصّة ، تستعد لنقلكم جميعًا إلى السطح .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

ــ هل يمكننى أن أثِق فى وَعْدك ؟

بدا المخلوق صادقًا للغاية ، وهو يقول :

ــ إننى لا أحْنَث بوعدى أبدًا .

أومأ (نور) برأسه ، وهو يغمغم :

ــ حسنًا .. سأخاطر بتصديقك .

ثم اتجه نحو باب الحجرة ، مستطردًا :

ــ سأخاطر بحياتنا جميعًا .

* * *

التقى (نور) بزوجته ورفاقه عند الغوّاصة ، التى تستعدُّ لحملهم إلى السطح ، وتعانق الجميع فى حرارة وسعادة ، ووقف المائيون يراقبونهم فى اهتمام ، ثم قال قائدهم لـ (نور) ، وهو يبتسم نفس الابتسامة ، التى لا تروق لـ (نور) أبدًا :

ــ إننى أنتظر أن تحافظ على وعدك أيضًا ، وتصلنى بالسفينة الأرغورانية :

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ ألا تخشى أن أستغل الاتصال ، وأطلب من (س١٨) مهاجمتكم وإبادتكم ؟

هزَّ المخلوق كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لماذا ؟.. إننى أثِق بك كثيرًا .

هزَّ (نور) رأسه ، وهو يقول :

ــ لا بأس .. سأفعل .

ضغط القائد أحد أزرار شاشة الرَّاصد ، الموجود بالقاعة ، فارتسمت على الشاشة صورة السفينة الأرغورانية ، وأشار إليها قائلًا :

ــ يمكنك إجراء الاتصال ، فهناك جهاز شبيه بأجهزتكم .

اتجه (نور) نحو الجهاز شبه الأرضى ، وفحصه بعض الوقت ، ثم ضغط أزراره فى تتابع شفرىّ خاصّ ، وقال :

ــ لقد تمّ الاتصال .. يمكنكم الآن التحدُّث إلى السفينة الأرغورانية مباشرةً .

التمعت عينا القائد المضيئتين ، على نحو أثار قلق (نور) فى شِدَّة ، وهتف القائد بعبارة ما ، بلغته الخشنة الجافَّة ، ولم يكد يتمّها حتى اتسعت عيون (نور) ورفاقه ، وتراجعوا فى رُعْب وذُهول ومرارة ..

فأمام عيونهم ..

وعلى شاشة الراصد ..

رأى الجميع انفجارًا رهيبًا ..

انفجار السفينة الأرغورانية ، وانفجار حاجز الحماية الأرضى تمامًا ..

* * *



١١ ـ الهزيمة ..

كانت مفاجأة مذهلة بحق ..

مفاجأة لم يتصوَّرها أحد قَطُّ ..

لقد فجَّر هؤلاء المائيون السفينة الأرغورانية ، غير القابلة للتدمير ، بوسيلة عجيبة ، لم يدر أحدٌ كنهها بعد ..

وأطلَّ الذهول من عيون الجميع ..

وارتسم فى الملامح ..

ورَانَ صمت رهيب لحظة واحدة ، قبل أن يقطعه قائد المائيِّين ، قائلًا فى ظَفَر وشماتة :

ـ لقد حطَّمناها .. لقد حطَّمنا حامية كوكبكم .. لم يعُد هناك ما يمنع قومنا الآن من القدوم إلى هنا .. لقد انتصرنا .

صاح (نور) فى غضب :

ـ أيها الوغد الكاذب .

هتف به القائد فى صرامة :

ـ لست وغدًا أو كاذبًا أيها الأرضى .. إننى كما أخبرتك ،

لا أخنَث بوعودى أبدًا .. لقد طلبت منك أن تصلنى بالسفينة الأرغورانية ، ولكننى لم أحدِّد هدفى من وراء ذلك أبدًا .. والواقع أننا كنا نسعى لإتمام هذا الاتصال ، بالوسيلة المعروفة لديكم باسم التواقع العشوائى ، أو التباديل والتوافيق الطويلة ، وكنَّا نتوقَّع أن يحدث ذلك الاتصال بعد ثلثمائة مليار محاولة ، أو ست سنوات على الأقل ، ولكنك اختصرت تلك الفترة إلى ست ساعات فحسب .. أتعلم لماذا كُنَّا نسعى لإتمام ذلك الاتصال ؟.. لأن علماءَنا قد توصَّلوا إلى وسيلة تدميرها ، باستخدام تردُّد صوتىّ طبقىّ خاصّ ، يعتمد على رفع الموجة الصوتية إلى حدِّ نهاية التردُّد فوق الصوتىّ ، ثم إيقافها بما يُطلق عليه اسم التوقُّف الحرج(*) ، ولا توجد مادَّة فى الكون كله يمكنها احتمال هذا التوقُّف الحرج ، بمثل هذه الصورة .. ولقد رأيتم بأنفسكم كيف تسبَّب ذلك فى نسف

(*) من المعروف علميًّا أن أىّ صوت ينشأ من الصفر ، ثم تتعالى شدَّته ، حتى يبلغ ذِروته ، ويعود بعدها للانخفاض تدريجيًّا ، حتى يصل إلى الصفر ، أما بالنسبة للتوقُّف الحرج ، فالصوت يصل إلى ذِروته ، ثم ينخفض إلى الصفر دفعة واحدة ، وهذا ما يسعى العلماء لتنفيذه منذ السبعينات ، كسلاح حربىّ .

سفينتكم الحامية ، حينما أرسلنا إليها موجتنا فوق الصوتية ، عَبْرَ أجهزة الاتصال ، ثم أوقفناها على النحو الحرج .

غمغم (نور) فى مرارة :

ــ إذن فقد تسببَّت أنا فى أن تفقد الأرض أقوى أسلحتها وخطوطها الدفاعية .

ابتسم القائد فى شماتة ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح .. ولكنه لا يَعْنِى أننى لن أفى بوعدى .. سأطلق سراحكم الآن ، وأعيدكم بغوَّاصتكم إلى السطح ، حتى تشاركوا أهل الأرض مصيرهم ، عندما نرسل إليكم الدفعة الثانية من عقَّار النُّموّ ، بعد أن دمَّرنا أسلوب مقاومتكم له ..

اعتدل (نور) ، ونصب قامته فى اعتدال ، وهو يقول :

ــ أتظن أنك قد انتصرت هكذا ؟

ابتسم القائد المائىّ ، وهو يقول فى فخر :

ــ بالتأكيد .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول فى حزم :

ــ كلَّا .. إنك لم تنتصر بعد .

هتف القائد فى غضب :

ــ ماذا تعنى ؟

قبل أن يجيبه (نور) ، ارتفع صوت خشن جافّ عَبْرَ أجهزة الاتصال ، فارتسم القلق على وجه القائد ، وأسرع نحو شاشة الراصد ، فضغط أحد أذرعها ، وتطلَّع الجميع فى اهتمام إلى ذلك الجسم ، الذى نقلت الشاشة صورته ، وهو يشقُّ طريقه فى أعماق المحيط ، نحو سفينة المائيِّين ، وابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ هل رأيت ما أعْنِيه ؟.. إنكم بأسلوبكم لم تنتصروا ، وإنما أشعلتم فتيل هزيمتكم .. وها هو ذا أقوى سلاح أرضى يقترب .

اتضحت فى تلك اللحظة صورة الجسم المقترب ، فوجد (رمزى) و (محمود) و (سلوى) أنفسهم يهتفون فى سعادة :

ــ (س ١٨) .

ولم تكد حروف كلماتهم تتلاشى ، حتى اخترق (س١٨) جسم سفينة المائيِّين ، وانقلبت الأمور كلها رأسًا على عَقِب ..

* * *

نستطيع أن نقول ، دون أدنى مجاملة أو مبالغة ، أن توقُّعات (نور) ، بالنسبة لـ (س ١٨) تكون دائمًا على درجة مدهشة من الصواب ، مما لا يترك سوى نسبة مهملة من احتمالات الخطإ ..

ولا أحد يدرى السرّ فى ذلك ..

ربَّما لأن (نور) يدرك قُدرات (س ١٨) الرَّهيبة ..

أو لأنه يثق فى حضارة أجداد كوكب الأرض الأتلانتية القديمة .

أو بسبب تلك العلاقة ، التى نشأت بينه وبين (س١٨) ..

صحيح أنه من غير المنطقى أن تنشأ علاقة ما ، بين رجل وآلة ، إلَّا أن (نور) كان يشعر نحو (س ١٨) بما يشبه الصداقة ..

ولن نستطرد فى مناقشة ذلك الأمر ، أو نسهب فى دراسته ، وإنما سنكتفى بقول إنه ولسبب ما ، صدقَت توقُّعات (نور) ، بالنسبة لـ (س ١٨) تمامًا ..

لقد كان (س ١٨) يقود تلك السفينة الأرغورانية ، فى مجالها المرسوم حول الأرض ، حينما بدأ الاتصال بينه وبين سفينة المائيين ، فى أعماق الأطلنطى ..

وسجَّلت أجهزته نقطة الاتصال ، وموقعه ..

ثم أطلق المائيُّون موجتهم فوق الصوتية القاتلة ..

وبسرعة تفُوق سرعة الصوت ، أدرك (س ١٨) خطورة تلك الموجة ، فأسرع يحيط جسده بغلاف واقٍ ، أعدّه له صانعوه خصِّيصًا ، لصدّ أعنف القوى فى هذا الكون ..

وانفجرت السفينة ..

انفجرت ومحت معها غلاف (س ١٨) الواقى ، وجزءًا كبيرًا من طاقته ..

ووجد (س ١٨) نفسه يسبح فى الفضاء ، وسط أشلاء السفينة ، وأدركت أجهزته أنه يواجه أعداءً ، لابدَّ له من مهاجمتهم ، وتدميرهم ..

وأشعل (س ١٨) أجهزة ، وانطلق بواسطة نفَّاثاته الدافعة ، يخترق الغلاف الجوىّ الأرضى كالنَّيزك ، مسترشدًا بالإشارة التى التقطها مسبَّقًا ، والتى حدَّدت أجهزته بواسطتها موقع سفينة المائيِّين ..

وغاص جسد (س ١٨) فى أعماق الأطلنطى ..

كانت المادَّة التى صُنِعَ منها جسده بالغة القوة والمتانة ، إلى حدّ لم يعرفه كوكب آخر فى الكون بعد ، إلَّا أن غوْصه إلى ذلك



وغاص جسد (س ١٨) فى أعماق الأطلنطى ..
كانت المادّة التى صُنِعَ منها جسده بالغة القوة والمتانة ..

العمق ، بعد أن انمحى غلافه الواق ، كان يستهلك الكثير من طاقته فى سرعة وشدة ..

وبلغ (س ١٨) سفينة المائيِّين ..

واخترقها ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

* * *

لم يكد (نور) يلمح اختراق (س ١٨) لجدران السفينة ، على شاشة الراصد ، حتى صاح برفاقه :

ــ أسرعوا إلى الغوَّاصة .. سيغمر ماء المحيط كل شىء بعد لحظات .

أسرع الجميع نحو الغوَّاصة الصغيرة ، واحتشدوا داخلها ، ولكن قائد المائيِّين هتف فى غضب :

ــ لن أسمح لكم بمغادرة ذلك المكان ، قبل أن تأمر ذلك الآلىّ البشع بالتراجع .

صاح (نور) فى صرامة :

ــ هذا مستحيل !! أنتم أثرتموه ، وعليكم أنتم أن توقفوه .. إننى لن أسمح لكم باحتلال كوكبنا أبدًا .

خفت بريق عينى القائد ، وهو يهتف :

ـ ولكن هذا هو أمل شعبنا الوحيد .. لو لم نرسل إليهم إشارة بنجاحنا ، فسيَعْنِى هذا أن يقضوا نحبهم على كوكبنا .. صدِّقنى .. احتلال كوكبكم هو أملنا الوحيد .

هتف به (نور) :

ـ أنتم أضعتم هذا الأمل بإصراركم الاستعمارىّ .

تراجع القائد ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لا بأس .. ولكننا لن نقضى وحدنا .. ستذهبون معنا .

واستدار فى سرعة ، وضغط زرًّا خاصًّا إلى جواره ، قبل أن يهتف فى لهجة أقرب إلى الجنون :

ـ لقد أشعلت جهاز التفجير الذاتىّ .. ستنفجر حجرة الطاقة الرئيسية بعد دقيقتين ، وتنفجر سفينتنا ، ويذهب كل شىء .. لقد هزمتك أيها الرائد الأرضى .. هزمتك أنت على الأقل .

* * *

كانت تلك المهلة لاتكفى حتى لإدارة أجهزة الغوَّاصة الصغيرة ، والابتعاد بها ، قبل أن ينفجر كل شىء ، وشعر (نور) أنها حقًّا النهاية ، وتراجع نحو الغوَّاصة ، صارخًا فى حَنَق وغضب :

ـ أيها الوغد !

صاح قائد المائيِّين فى ثورة :

ـ سنذهب معًا ، ما دمنا لم ننتصر وحدنا .

وفجأة .. اخترق (س ١٨) جدار القاعة ، وتوقَّف وهو يتطلَّع إلى (نور) ، الذى لم يكد يراه حتى انتعش الأمل فى صدره ، وهتف وهو يقفز داخل الغوَّاصة :

ـ (س ١٨) .. أخرج غوَّاصتنا من هنا .. أخرجها بأقصى سرعة ممكنة .

كان (س ١٨) يخترق الجدران ، فى طريقه إلى حجرة الطاقة الرئيسية ..

كانت أجهزته قد فقدت مقدارًا هائلًا من الطاقة ، وكان يحتاج إلى مقدار آخر منها ، وأنبأته أجهزته أنه سيجد ذلك المقدار فى حجرة الطاقة ..

ثم تلقَّى أمر (نور) ..

وعلى الفور أهمل (س ١٨) ضرورة التزوُّد بالطاقة ، وقرَّر تنفيذ أوامر (نور) بلا إبطاء ، مادام لديه مايكفى من الطاقة لذلك ..

وبسرعة وقوة مذهلتين ، حمل (س ١٨) الغوَّاصة

الصغيرة ، واندفع بها مخترقًا جدران سفينة المائيين ، ومبتعدًا عنها فى الأعماق ..

وراحت طاقته تقلُّ وتنضب فى سرعة ، وهو يستهلكها استهلاكًا شرهًا نهمًا ..

وفجأة .. حدث الانفجار ..

انفجار هائل ، ارتجَّ له المحيط الأطلنطى ..

انفجار يكفى لتحطيم غوَّاصة (نور) ورفاقه .. تحطيمها تمامًا ..

* * *



١٢ ــ الختـــام ..

تراقصت حاملات الطائرات المصرية والأمريكية ، وتخبَّطت فى قوَّة ، إثر تلك الاضطرابات الهائلة ، التى سادت سطح المحيط ، مع انفجار سفينة المائيين ، وأسرع القائد الأمريكى يتصل بنظيره المصرىّ ، قائلًا فى توتُّر :

ــ ماذا يحدث بحقِّ السماء ؟.. لقد انفجرت السفينة الأرغورانية أوَّلًا ، ثم هبط نيزك مخيف فى المحيط ، وبعدها حدث ما يشبه انفجارًا نوويًا فى الأعماق .. فما الذى يفعله رجالكم فى أسفل ؟

أجابه القائد المصرىّ فى توتُّر مماثل :

ــ لست أدرى بالضبط ماذا يحدث .. ولكن من الواضح أن قرار المحيط يحمل لنا سرًّا غامضًا مخيفًا .

هتف الأمريكى فى عصبيَّة :

ــ وماذا عن رجالكم ؟

أجابه المصرىّ فى مرارة :

ــ لا أظننا سنراهم مرَّة أخرى .. فما من بشرىّ يمكنه أن ينجو من مثل هذا الانفجار .

وصمت لحظة ، بسبب غُصَّة ملأت حلقه ، قبل أن يُرْدِف :

ـ لا أحد .

* * *

كان من الطبيعىّ حقًّا أن يتسبَّب ذلك الانفجار فى الإطاحة بغوَّاصة (نور) ورفاقه تمامًا ..

لولا (س ١٨) ..

لقد استنفد ذلك الأُطلانتى الآلىّ الأخير كل قوَّته وطاقته ، للحفاظ على الغوَّاصة ، وإنقاذ الأرضيِّين ..

ونجت الغوَّاصة ..

نجت بفضله ..

وأدرك الجميع ذلك ..

وبكل فخر وسعادة ، هتف (نور) يخاطبه :

ـ أحسنت يا (س ١٨) .. لقد أنقذتنا .. لقد أنقذت كوكب الأرض كله للمرَّة الثالثة .

نطق (س ١٨) بالعبارة الوحيدة ، المسجَّلة فى برنامجه :

ـ (س ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى ..

ولكن طريقة نطقه لها لم تَرُق لـ (نور) ، الذى هتف فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (س ١٨) ؟.. هل تُعَانى أجهزتك افتقارًا للطاقة ؟

أجابه (س ١٨) بصوت متقطِّع :

ـ (س ١٨) .. فى .. خدمتك .. يا .. سيِّدى ..

واتسعت عيون الجميع فى هَلَع ، حينما توقَّفت فجأة أجهزة (س ١٨) وتجمَّدت أطرافه كتمثال من الفولاذ ، وراح يغوص فى أعماق المحيط بفعل ثقله ..

شهق (رمزى) و (محمود) فى جَزَع ..

وصرخت (سلوى) تناديه ، كما لو كان مخلوقًا حيًّا ..

وأغلق الدكتور (حجازى) عينيه فى ألم ..

وحدَّق القبطان فيما يحدث بحَيْرة وذُهول ..

أمَّا (نور) ، فقد ترقرقت الدموع فى عينيه ، وهو يهتف فى لوْعة :

ـ (س ١٨) ..

ولكنه لم يتلقَّ جوابًا ، فقد كان (س ١٨) يغوص .. ويغوص .. ويغوص ..

والغوَّاصة ترتفع ، وترتفع .. وترتفع ..

* * *

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى الدكتور (عبد الله) ، مدير مركز الأبحاث ، التابع لإدارة المخابرات العلمية المصرية ، وهو يقول لـ (نور) :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (نور) ، وعلى سلامة فريقك

كله .. لقد تم فحص الجميع ، وهم بخير والحمد لله .. لقد حققتم انتصارًا رائعًا جديدًا يا فتى .

ابتسم (نور) فى حزن ، وهو يقول :

— نعم يا سيِّدى .. لقد أنقذنا كوكب الأرض .

عقد الدكتور (عبد الله) حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة :

— وكيف يمكنك أن تنطق تلك العبارة الرائعة ، بكل هذا الحزن ؟

أجابه (نور) فى مرارة :

— لأن خسائرنا الشخصية مؤلمة يا سيِّدى .. لقد نمت ابنتنا (نشوى) قبل الأوان ، وفقدت سنوات طفولتها ، وخسرت جزءًا من عمرها ، وفقدنا (س ١٨) إلى الأبد .

تنهد الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

— ستتكيف (نشوى) على وضعها الجديد يا (نور) وستتكيَّفان عليه أيضًا أنت و (سلوى) .. أما بالنسبة لـ(س ١٨) ، فمازال هناك الأمل فى استرجاعه .

ابتسم (نور) فى مرارة ، وهو يقول :

— كيف ؟.. إنه يرقد الآن على عمق سبعة كيلومترات ، فى قرار الأطلنطى .

ابتسم الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

— من يدرى ؟!.. لقد قادتك المصادفة يومًا إلى العثور عليه فى (أرغوران) ، على بعد عشرات السنوات الضوئية .. أليس كذلك ؟

تلاشت المرارة من ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

— بلَى .. لا ينبغى أن نفقد الأمل يومًا .

صافحه الدكتور (عبد الله) ، واتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

— على أيَّة حال ، مرحبًا بعودتك إلى الصفوف يا (نور) ، ومرحبًا ببدء عهد جديد فى المخابرات العلمية المصرية ..

* * *

تثاءب أحد علماء الفلك المصريين ، وهو يناول زميله بضع صور فوتوجرافية ، قائلًا :

— هل شاهدت ذلك ؟.. لقد سجَّل المرصد الفضائىّ تلك الصور ، من موقعه عند كوكب (نبتون) ، وأرسلها لنا بالليزر .

تناول زميله الصور فى تكاسل ، وهو يسأله :

— وما هى بالضبط ؟

عاد الأوَّل يتثاءب فى ضجر ، وهو يجيب فى روتينية :

— إنها صور فناء نجم قريب ، تضخَّم ، والتهم كواكبه ، ثم خبا ، وفَنِىَ .

هزَّ زميله كتفيه ، وهو يقول فى لامبالاة :

ــ هذا يحدث كل يوم يا صديقى .. وما هى إلا بضعة ملايين من السنين ، وتشهد شمسنا نفس النهاية .. إنها دَوْرة حياة الكوْن يا صديقى ..

نعم .. إنها دَوْرة حياة الكون ..

كواكب تُفْنَى ، وأخرى تنشأ ..

حضارات تنهار ، وأخرى تنمو ..

حياة تنتهى ، وأخرى تبدأ ..

إنها دَوْرة الكون ، وسُنَّة الحياة ..

ولكن هذا النجم ، الذى تحدَّثنا عنه ، كان يَعْنِينا هذه المرَّة ..

لقد كان شمس كوكب عظيم ..

كوكب التهمته شمسه ، قبل أن تخبُوَ وتُفْنَى ..

كوكب جاءت إلى أرضنا يومًا طلائع غزوه ، قبل أن تُفْنَى حضارته ..

كان كوكب سادة الأعماق ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥